وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

نزعة السخرية في رواية صوت الحمير– مقاربة موضوعاتية

مذكرة ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماستر أكاديمي في الشعبة النقدية
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
– شبل إسماعيل

إشراف:
أ.د.زروال حسين

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د.أحسن دواس	أستاذ محاضر "أ"	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
أ.د.زروال حسين	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
أ.د.أنيس فيلالي	أستاذ مساعد "أ"	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنة الجامعية:2023/2022

المقدمة

تبرز السخرية كأحد الأشكال الأدبية الأكثر تأثيرا و اتصالا بالمجتمع إذ تتناول الجوانب النفسية والاجتماعية والسياسية و الثقافية للإنسان، وتسلط الضوء على تفاصيل حياته وسلوكه في قالب مميز و تمكن الكاتب من الكشف عن مواضع الخلل والعطب في الفكر والسلوك الإنساني ثم معالجته و بهذا يكون حضورها في مواضع عديدة أكثر فاعلية وجدوى من الإنتاجات الأدبية الجادة.

و السخرية و إن كانت فنا مميزا في أعمال بعض الأدباء إلا أنها حضورها يتأكد في الرواية التي تتجلى فيها مظاهر الكارنفالية الباختينية فقد أكد ميكائيل باختين على أن السخرية هي جزء أساسي من أي نص حواري حقيقي إضافة إلى جورج لوكاتش الذي أكد على صفة الرواية الأجناسية فهي تشتمل على السخرية بالضرورة .

لقد أثارنا موضوع السخرية في الأدب منذ الوهلة الأولى لقراءتنا لرواية صوت الحمير و تولدت لدينا رغبة في سبر أغوار الرواية و الكشف عن مدى تجليات السخرية فيها فكان السؤال الذي يمكن إثارته حول الموضوع:

- ما هي تجليات السخرية في رواية صوت الحمير؟

غير أن هذا السؤال قد فتح لنا آفاق أخرى للبحث لم نكن نتوقعها بحكم طبيعة السخرية المراوغة خاصة وأنه يعتريها خلط كبير في وطننا العربي من قبل الأدباء أو الدارسين على حد سواء بسبب التباسها وتداخلها مع الأشكال الأدبية الأخرى المتماهية معها و التي تصنف تحت مضلة السخرية العامة إضافة إلى الورطة التي وقعت فيها الدراسات التي اعتمدت على ترجمة عبد الواحد لؤلؤة لموسوعة المصطلح النقدي و مقال نبيلة إبراهيم التي تناولت فيه المفارقة كمقابل لكلمة irony الأجنبية و بالتالي انعكس ذلك على دراسة الأعمال الأدبية فاقتضى منا الأمر الإجابة عن أسئلة أخرى تمهد للوصول إلى الإجابة عن الإشكالية الرئيسية و هي كالتالي:

- ما مفهوم السخرية و ما الفرق بينها و بين الأشكال المتماهية معها ؟

- ما هي أنواعها ؟
- ما هي آليات اشتغالها؟
- ما الأثر الذي تتركه في العمل الأدبي؟

يمكن التعليق على الأسئلة السابقة أنها تصب في القالب الإجرائي كونها تأسس لتصور سليم للمادة و قد قيل " الحكم على الشيء فرع عن تصوره" فلا يمكن بحال الخوض في أدوات السخرية الإجرائية في ظل غياب رؤية واضحة نسلكها في بحثنا.

و يرتبط اختيارانا لهذا العمل بالذات بالأسباب التالية:

- توجهات الكاتب في طرح قضايا تصب في جوهر الأدب كرسالة سامية تعكس فكر صاحبها و طبيعة مجتمعه.
- طبيعة الرواية التي بطلها حمار جعلتنا نستدعي مغامرات الحكيم مع حماره في رواية "حمار الحكيم" للكاتب توفيق الحكيم و رواية "مع حمار الحكيم" للكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو و التي وجه من خلالها نقدا لاذعا للمجتمع الجزائري فالرواية تجعلك تقف على الضفة الأخرى و تجعلك ترى العالم من منظور حمار.

و لقد سعيت في بحثي هذا أن أقف على جانب مهم من جوانب الدراسة الأدبية والمتمثل في جانب السخرية و الكشف عن تجلياتها في جنس الرواية .

وقد قادتنا الرغبة في معالجة هذا الموضوع إلى الاعتماد على فصلين نظري – تطبيقي إضافة إلى مدخل تمهيدي . أما المدخل فقد قصرت فيه بحثي على تصحيح التصور الذي يعتري مفهوم السخرية من خلال الوقوف على معناها اللغوي و الاصطلاحي من خلال التعاريف البلاغية و الفلسفية و النقدية في الثقافتين العربية و الغربية على امتداد التاريخ.

أما الفصل الأول فقد تعرضت فيه إلى قضية أدبية السخرية و علاقتها بالرواية و كذا بينت الأنواع الساخرة و وظائفها و المرجعيات التي تخلق الساخر.

أما الفصل الثاني فكان تركيزنا فيه منصبا على تشريح الرواية انطلاقا من عتباتها وصولا إلى بنيتها العميقة في علاقتها مع السخرية كأداة إجرائية تساهم في إظهار تيمات الرواية و تصورات الكاتب و بناء عالمه.

أما بالنسبة للدراسات التي جمعت بين المقاربة الموضوعاتية و السخرية كأسلوب فلا توجد حسب علمي

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي ارتأيت فيه أن يكون الأنسب لمثل هذه الدراسة، فأصف و أحلل الظاهرة من خلال تجليات السخرية في النص. وهذا لم يمنعنا من الاستعانة بمناهج أخرى في دراستنا كالمنهج التاريخي المناسب للتأريخ لمصطلح السخرية ومفهومها في كلتا الثقافتين الغربية والعربية، بالإضافة إلى المنهج النفسي الذي استعنت به في تحليل في تحليل بعض الشخصيات.

كما اعتمدت على جملة من المراجع العربية و الأجنبية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة لمحمد كاديك وكتاب الضحك في الأدب الأندلسي لأحمد شايب فضلا عن كتاب السخرية و الساخر لدي سي ميوك إضاف إلا مجموعة من أطروحات الدكتوراه و المقالات العلمية كرسالة خضرة ناصف الموسومة بـ "السخرية في النثر الأندلسي".

أما الصعوبات التي واجهتها فتتمثل في:

- تشعب موضوع السخرية و تداخله مع مفاهيم أخرى
- صعوبة إيجاد المراجع أو الوصول إليها.
- تداخل موضوعات الرواية و تشظيها .
- إضافة إلى ضيق الوقت.

وختاما أتقدم بالشكر الجزيل و خالص الامتنان لأستاذي المشرف حسين زروال على صبره وسعة صدره ،كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة على عناء القراءة والتمحيص وعن الملحوظات التي سوف أستفيد منها لتقويم البحث. والله ولي التوفيق.

الملخص

العنوان : نزعة السخرية في رواية صوت الحمير

الطالب : شبل إسماعيل .

التخصص : ماستر نقد حديث و معاصر

يهدف البحث إلى إثراء موضوع السخرية في المكتبة العربية ، والدراسات المتخصصة في هذا المجال ، لأن البحث في هذا الجانب يعد قليلا نسبيا ، باعتبار السخرية فن أدبي قائم بذاته يستحق الدراسة والبحث ، وقد تناوله كثير من الأدباء على مر العصور . جاء البحث في مقدمة ، ومدخل ، وفصلين ، تناولت المقدمة أهمية الدراسة، و وسبب اختيارها ، وتناول المدخل ماهية السخرية ، وتناول الفصل الأول أنواع السخرية و وظائفها ، وتناول الفصل الثاني تيمات الرواية وموضوعاتها و تجليات السخرية فيها. توصل البحث إلى أن الرواية "صوت الحمير" هي رواية ساخرة" اكتسبت صفتها الأجناسية من خلال شخصياتها و بناءها الحسي و الخيالي الذي اعتمد على تداخل الموضوعات ، وأن السخرية في رواية أيمن العتوم ليست من قبيل التشفي الشخصي، بل هي سخرية الناقد المصلح ، الذي يبرز العيوب للتخلص منها بأسلوب ساخر

مما يوصي به البحث : دراسة معمقة للرواية كونها تمثل مادة أدبية غنية ومجال خصب للدراسات.

مـدخـــــل

مفهوم النزعة:

لغة

وردت لفظة "نزعة" في معجم اللغة العربية المعاصرة مشتقة من :نَزَع نزعاً، فهو نازع ، والمفعول منزوع، نَزَعَ الشيء عن مكانه نَزَع الشيء من مكانه: قلعه وجذبه/ نزعة مفرد، ج نزعات: ميل واتجاه فطري أو نفسي إلى الشيء.[1]

اصطلاحا:

النزعة (Inclination) ميل في الشعور أصبح موضوع للتصور الذهني.[2]

مفهوم نزعة السخرية:

هو ميل أو اتجاه يسلكه الكاتب في عمله يتضمن استخدام السخرية كأسلوب تعبيري فالسخرية هي طريقة من طرق التعبير و أداة نقد تهدف إلى الإصلاح والتهذيب وتنقية المجتمع مما قد يعلق به من الشوائب والانحرافات من خلال التعرض للعيوب التي تستدعي الغرابة وتكون مثار للتساؤل لخروجها عن المألوف في الطباع والأحوال[3] .

المفهوم السابق يلقي الضوء على وظيفة من وظائف السخرية غير أنه يطرح لنا تساؤلا جوهريا يتمثل في التالي:

ما هي السخرية تحديدا؟ و ماهي آليات اشتغالها؟ وما علاقتها بالأدب؟

و للإجابة عن هذا السؤال كان لابد من الغوص في المعاجم الأدبية القديمة و الحديثة و تقفي سيرورة مفهوم السخرية عبر مراحل تاريخية متعددة.

1 ينظر:أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008، ص 2193.

2 ينظر:مراد وهبة، المعجم الفلسفي ،دار القباء الحديثة،ط5، القاهرة، 2007، ص 643.

3 ينظر:دلال حمزة محمد، الابعاد النفسية لنزعة التهكم في تشكيل ما بعد الحداثة ، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ،ج2 ، ع20 ، 2018 ،ص 346.

مفهوم السخرية:

تشغل السخرية مكانة رفيعة في الفكر الإنساني و الآداب الجيدة كما أشار دوغلاس كولين ميوك (D.C.Muecke) "هي آداب ساخرة بالضرورة"[1] إلا أن الدارس لموضوع السخرية يصطدم بإشكالية تشردم المصطلح وتشعب مفهومه و تداخله مع مفاهيم قريبة. وفهمنا لهذا الفن و آليات اشتغاله في الأعمال الأدبية عامة و الرواية خاصة يستلزم منا إزالة مايعتريه من لبس ومقابلته مع مايشاكله و يتماهى معه من مفاهيم أخرى بغرض الوقوف على أوجه الاتفاق و الاختلاف بينها .

السخرية في القرآن :

1Mueck, D.C, Irony and the Ironic, Routledge, first edition, New York , 2018,p7.

وردت السخرية في القرآن في معرض الذم في عدة مواضع حيث حملت معنى الاستهزاء و الاحتقار و التفكه و هي كلها من الصفات التي ذمها الله و الرسول ،قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]

و بالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يمكن أن نجد أن لفظة "السخرية" قد استخدمت ثلاث عشرة مرة بمعنى الدفاع أو الجزاء بالمثل، بعيدا عن التجريح. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[2]

و وردت السخرية بمعنى الضحك في عشرة مواضع كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾[3]

و وردت خمس مرات بمعنى الفكه: في قوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[4]

كما وردت بمعنى الاستهزاء: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[5]

وردت السخرية بمعنى الهزل مرة وحدة في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾[6]

في المعاجم العربية:

1 سورة الحجرات، الآية 11.

2 سورة هود، الآية 38.

3 سورة المؤمنون،الآية 110.

4 سورة الواقعة،الآية 65 .

5 سورة الأنعام،الآية 10.

6 سورة الطارق، الآية 13،14 .

جاء في "لسان العرب": "السخرية من سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وَسَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا بالضم وسُخْرَةً وسِخْرِيًّا سُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً: هزئ به، يقال: سخرت منه ولا يقال سخرت به، فالسخرية هي الهزء بشيء ما لا ينسجم مع القناعة العقلية، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرف الفرد أو الجماعة، يضحك منه الناس ويضحك منهم.[1]

وقد جاء في معجم العين: "سخر: سخر منه وبه، أي استهزأ والسخرية مصدر في المعنيين جميعا، وهو السخري أيضا، ويقول نعتا كقوله: هم لك سخري وسخرية مذكر ومؤنث من ذكر قال : سخري ومن أنت قال سخرية والسخرية: الضحكة"[2].

وورد في أساس البلاغة للزمخشري: "سَخِر، فلانٌ سخرةٌ وسُخَرَة : يضحك منه الناس ويضحك وسخرت منه واستسخرت، واتخذوه سُخريا، وهو مسخرة من المساخر. وتقول: ربّ مساخر يعدها مفاخر. وسخّرَه الله لك، وهؤلاء سُخرَةٌ للسلطان يتسخرهم: يستعملهم بغير أجر".[3]

وتكاد تتفق المعاجم اللغوية العربية على معان متقاربة لكلمة "السخرية" فهي تدور في مجملها حول الاستهزاء والتهكم التحقير والضحك.

في المعاجم الأجنبية:

وردت السخرية في قاموس كامبريدج بمعنى: نوع من تعبيرات الدعابة التي تقول فيها عكس ما تقصده[4].

ووردت في قاموس بريتانيكا بمعنى: موقف غريب أو مضحك نتيجة حدوث الأشياء بطريقة تبدو معاكسة لما هو متوقع [5].

---

1 ينظر:أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،لسان العرب، دار صادر،ط1، بيروت، ج7، مادة (سخر)، 2009 ، ص144.

2 الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين ، دار الكتب العلمية، ط1، 2003 .ص222

3 جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ،ط1، 1998، ص 365.

4 https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/irony

5 https://www.britannica.com/dictionary/irony

أما في قاموس "ميريام وبستر" فقد وردت السخرية بمعنى :حالة لاتوافق بين النتيجة المحققة لسلسلة من الأحداث و بين النتيجة الطبيعية أو المتوقع حدوثها[1].

تتفق المعاجم الأجنبية في أن السخرية تتضمن عنصر التباين و اللاتوافق الذي يكون بين مستويين في الخطاب أو الموقف .

اصطلاحا:

يقر الباحثون بصعوبة وضع تعريف جامع مانع للسخرية كونها ظاهرة متجدرة تضرب في أعماق التاريخ وقد شملتها عدة حقول معرفية بالدراسة فجاءت متباينة وفق الزوايا المتعددة التي تنظر منها فأفرزت تعريفات مختلفة لها إلى درجة اعتبرها واين كلايسونن بوث أنها "صارت تمثل أشياء كثيرة إلى درجة أن المصطلح أصبح عرضة لخطر فقدان معناه"[2]

وللوقوف على حدود المصطلح و مفهومه و استعماله الأدبي كان و لابد من متابعة سيرورة تطوره عبر التاريخ بدأ بحضوره الأول على مستوى الواقع و انتهاء بآراء النقاد في العصر الحديث.

مفهوم السخرية في الثقافتين الغربية و العربية:

إن السخرية بما هي جوهر إنساني لا يختص به جنس أو عرق معين غير أن انتقال المفهوم من الحضور إلى الواقع لم يتحقق إلا في اليونان.

المفهوم في الثقافة الغربية:

1 https://www.merriam-webster.com/dictionary/irony.

2 Booth, Wayne Clayson, A Rhetoric of Irony, The University of Chicago Press, Second Impression , p02 .1975.

إن أول تحقق لمفهوم السخرية في التاريخ تجسد على يد أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد حيث جعل من منهج سقرط التوليدي الجدلي موضوعا بلاغيا و بذلك سجل أول شكل من أشكال السخرية باسم سقراط.

سقراط(Socrates):

أشار ميوك إلى أن أصول مصطلح السخرية في الثقافة الأجنبية تعود إلى الكلمة اليونانية Eironia" و التي اشتق منها المصطلح الحالي "Irony" .وقد استخدمت كلمة "Eiron" للإشارة إلى شخص يتهرب من مسؤولياته كمواطن من خلال التظاهر بالعجز. أو هو الشخص الذي يتجنب التزاماته ويبدي التزامات زائفة، ويخفي عداواته ويتظاهر بالصداقة ولا يعطي إجابة مباشرة .و سرعان ما ألصقت تلك الصفة بسقراط من قبل أحد ضحاياه [1] . فقد عرف سقراط بانتهاجه منهجا حواريا يصل من خلاله إلى كشف زيف ما يعرفه محاوره من خلال ادعاء الجهل وعدم الإجابة عن أسئلته ثم استدراجه للاعتراف بالخطأ بعد محاصرته بأسئلة تفضح زيف وتناقض ما يعرف.

نظر أرسطو إلى منهج سقراط بنظرة دونية فقد عرف Eironeia بأنها "موارية الانتقاص من الذات"[2] لكنه تراجع بعد ذلك ليمنح مفهوم السخرية كم هو عند سقراط فرصة اقتحام حقل البلاغة ويكسبه الاسم الذي يدل عليه و خصوصيته المتعارف عليها اليوم[3] وبذلك أصبح التهكم السقراطي أول شكل من أشكال السخرية حضورا في الواقع.

شيشرون (Cicero):

1 Muecke, D.C, Irony, Methuen , London , 1970, p 14.

2 Ibid, P14.

3 ينظر:محمد كاديك ، سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة، ، دار ميم للنشر، ط1، ،2021 ،ص29،28.

يعتبر شيشرون أحد أعمدة البلاغة و قد نظر إلى Eironeia نظرة إيجابية، وهي في استخدامه إما شكل بلاغي أو "إدعاء أنيق" مثير للإعجاب عند سقراط[1] وقد قابل كلمة إيرونيا بكلمة أخرى وهي الاخفاء أو المواربة [2] و يعني بها فن الحوار والمناظرة الذي يهدف إلى إقناع الطرف الآخر بالحجج والبراهين كما حدده.

ظل المفهوم كما وضعه أرسطو و لمدة طويلة لا يتجاوز حدوده البلاغية بل إن لفظة irony لم تظهر في قواميس اللغة الإنجليزية إلا سنة 1502م و قد أشار كولين ميوك إلى أن مفهوم السخرية قد عرف تطورا بطيئا في أوروبا حتى أواخر القرن الثامن عشر و مطلع القرن التاسع عشر حيث اكتسبت كلمة السخرية معان جديدة مع محافظتها على المعاني القديمة[3] بدخولها ضمن حيز اهتمامات الفلاسفة الألمان آنذاك أين حيث شهد المفهوم انفجارا كبيرا على يد الألماني "فريديريش اشليغل" .

فريديريش اشليغل (Friedrich Schlegel):

يعتبر فريديريش اشليغل أول من أدخل مصطلح السخرية في مجال الأدب و خاصة ميدان الشعر و السخرية عنده عنصرا أساسيا في الفلسفة الرومنسية حيث أسس لمفهوم السخرية الرومنسية كما اعتبرها "شكل مفارقة"[4] و تتمثل في إدراك أن العالم في جوهره ينطوي على تناقض[5] وهي طريقة لإظهار التحولات والتطورات في الفكر والإبداع.

سورين كيركغور(Søren Kierkegaard):

---

1 Muecke,Irony,p15

2 ينظر:فتيحة بلمبروك ، خطاب السخرية و دلالته في الشعر العربي المعاصر،أطروحة دكتوراه،جامعة جيلالي ليابس،2015، ص20.

3 Ibid, Irony, P17.

4 ينظر:محمد كاديك،سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة،ص 47.

5ينظر: دي.سي.ميوك ، موسوعة المصطلح النقدي:المفارقة وصفاتها، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، 1900، ص 35.

أسس سورين كيركغور لتصور إيجابي للسخرية حيث أطلق عليها اسم "السخرية المروضة"[1] وقد اعتبر السخرية سمة جوهرية في الشخص و ليست صفة عارضة تحضر أحيانا و تغيب أحيانا أخرى[2] مما يعني أن السخرية عنده تتأسس وفق نظرة فلسفية وجودية .

و بحلول القرن العشرين أصبح مفهوم السخرية جزء من الدراسية اللغوية و الأدبية مما جعله أكثر اتساعا.

المفهوم في الثقافة العربية:

تجلت السخرية في الأدب العربي في صور مختلفة خلال مراحل زمنية متلاحقة غير أن العصر العباسي قد مثل ذروة حضور هذه الظاهرة حيث كان لطبيعة العصر و تركيبة المجتمع المتناقضة و الصراعات السياسية الأثر البالغ في استدعاء السخرية ممتزجة بأغراض شعرية لصيقة بها كالهجاء مما أسهم في تطورها كفن و أسلوب تعبيري مميز[3].

السخرية في العصر الجاهلي:

"يحفل التّراث الأدبي العربي بالعديد من الصور الساخرة، مع أنها لم تبرز في شكل أدبي قائم بذاته، حيث كانت مرتبطة بالفنون الأخرى، ففي العصر الجاهلي كانت مرتبطة بالغضب والهجاء والذم والتعريض"[4] غير أن الفعل الساخر لم يبارح المفهوم العام للسخرية[5].

ظل مفهوم السخرية كما هو تقريبا خلال فترة صدر الإسلام و العصر الأموي إلى غاية العصر العباسي حيث عرف تطورا كبيرا بفضل الانفتاح على الثقافات الغربية و خاصة اليونانية.

السخرية في العصر العباسي:

1 ينظر:محمد كاديك،سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة،ص 69.

2 Muecke, Irony and The Ironic, P29,30

3 خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي:رسالة التوابع والزوابع، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، 2017، ص22.

4 سامية مشتوب، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، 2011، ص11.

5 محمد كاديك، مرجع سابق، ص139.

تطور مفهوم السخرية بشكل كبير مقارنة بالعصر الجاهلي. فقد أصبحت السخرية أداة للنقد الاجتماعي والسياسي والديني والفكري، وللتعبير عن الرأي والموقف من الأحداث والظواهر المختلفة كما أصبحت السخرية فناً أدبياً له أشكاله وضروبه وأساليبه، قد برز مجموعة من المؤلفين في هذا المجال كأمثال الجاحظ الذي تمكن من نقل السخرية من الاستعمال العامي إلى سخرية تؤدي وظائفها الإصلاحية غير أن مادته الساخرة لم يتأن لها تجاوز التعريفات المعجمية إلى نطاق الرؤية الفلسفية أي أنها لم تتأسس في حقل معرفي محدد المعالم وقد ظلت السخرية في ذلك العصر مصنفة أبواب النوادر و الفكاهة[1] .

السخرية في العصر الحديث:

ظلت السخرية إلى غاية عصر النهضة رهينة بالحس الأدبي و الحدود البلاغية إلى غاية 1953 م مع أطروحة منح الصلح الذي قدمها بجامعة بيروت الأمريكية ووسمها بعنوان "السخرية في الشعري العربي من الجاهلية إلى القرن الرابع" وقد انتقلت السخرية من أبواب الملح و النواذر إلى كونها شكلا فنيا مقاوما [2]وقد تجل ذلك في كتابات تلة من الأدباء أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي و عمار يزلي.

2 المفاهيم المعاصرة لمصطلح السخرية:

1- مفاهيم السخرية في النقد الغربي المعاصر:

إن طبيعة السخرية المعقدة و قدرتها على تجاوز جميع أشكال التواصل جعلت مهمة وضع تعريف جامع مانع لها مهمة صعبة إن لم نقل مستحيلة لتعدد مرجعياتها. بل إن المفهوم قد امتد ليشمل الموسيقى و النحت و التشكيل و ميادين أخرى . وقد أقر الناقد الأدبي دوغلاس كولين ميوك، أنه من العسير عليه إيجاد تعريف دقيق ومختصر يشمل جميع أنواع السخرية ، ويستبعد ما هو يقع خارج نطاقها، وأن التمييز بينها من زاوية معينة قد لا يكون كذلك من زاوية

1 محمد كاديك، مرجع سابق، ص 139-146.

2 المرجع نفسه، ص 146.

أخرى، كما أن أنواعها التي يمكن تمييزها وتحديدها – بشكل نظري – سوف نجدها عند الممارسة العملية متداخلة الواحدة في الأخرى[1].

فمن وجهة نظر فلسفية يعرف (سورين كيركغور Soren Kierkegaard) السخرية بقوله:

- معروفة أنها تعبر عن ضد ما نريد أن نفعله[2].

ومن زاوية لسانية تداولية تعرفها "كيربرات أركيون" (Kerbrat Orecchioni) قائلة:

- سخر، تهكم : تعني ضد ما نريد أن نسمع. [3]

أما سيغموند فرويد (Sigmund Fereud) فحددها بأنها:

- السخرية: لا تستوجب أي تقنية أخرى إلا التقديم بالضد[4].

و السخرية حسب هذه المفاهيم ترتكز على مبدأ التضاد و التعارض بين المعنى المصرح به و بين المعنى المقصود و المخفي.

2- مفاهيم السخرية في النقد العربي المعاصر:

انقسمت الدراسات الأدبية العربية التي عالجت موضوع السخرية إلى قسمين : قسم حافظ على المعنى اللغوي الشائع وقسم آخر جعل من السخرية أسلوبا بلاغيا فقد عرفها نعمان طه بأنها النقد الضاحك أو التجريح الهازئ[5]. وعرفها مجدي وهبة وزميله أسلوب السخرية بأنها " طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل"[1] و هو تعريف يتوافق إلى درجة ما مع ما كان سائد في الدرس النقدي الأجنبي آنذاك[2] .

1 Muecke, Irony and the Ironic, P33.

2 ينظر: خضرة ناصف، مرجع سابق ،ص 24.

3 ينظر: المرجع نفسه 24.

4 ينظر: المرجع نفسه.

5 ينظر: نعمان طه ، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية، ط1، القاهرة، 1978، ص 14.

غير أن الدرس النقدي العربي لا يزال بعيدا عن مواكبة نظيره الغربي و ذلك راجع إلى مشكلين أساسيين هما:مشكل المصطلح و تداخل مفهوم السخرية مع مفاهيم أخرى في المورثين الثقافيين العربية و الغربي.

أ- إشكالية المصطلح:

إن مفهوم السخرية في الحاضنة اللغوية العربية غامض و يعتريه لبس كبير و يرجع هذا لعدة اعتبارات من بينها "خطأ في الترجمة ورد بمقال للأستاذة نبيلة إبراهيم في مجلة فصول عام 1988 فقد تحدثت عن Irony على أساس أنها ترجمة "مفارقة" [3] مما عمق الهوة بين المصطلح في الدرس الغربي و الدرس العربي خصوصا و أن ترجمات أبحاث "دوغلاس ميوك" في ميدان السخرية قد اعتمدت مصطلح "المفارقة" عوض السخرية irony .

ب- تداخل مفهوم السخرية مع المفاهيم المجاورة:

تعتبر السخرية من أكثر المفاهيم تداخلا مع غيرها من المفاهيم المشابهة ففي اللغة العربية نجد دلالة السخرية مرتبطة بمفاهيم أخرى مثل: الفكاهة و الهجاء و التهكم و الاستهزاء والأمر عينه في الثقافة الغربية حيث ظل المفهوم مطاطًيا يختلف مدلوله من عصر لآخر ومن بلد إلى آخر بل من ناقد لآخر و"لا يمكن أن نفهم مدلولاته في الاستعمال إلى متى فهمنا مجمل المفردات القريبة و المجاورة له"[4].

الفكاهة Humour:

وردت لفظة فكاهة في المعاجم في عدة معان من بينها المزاح و الممازحة و اغتياب الناس والنيل من أعراضهم، فتأتي الغيبة على صورة تُضحك الناس من الشخص المغتاب ويكون الضحك هو المعنى الجامع. وقد تكون بمعنى العيش الناعم .

---

1 ينظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات في الأدب و اللغة، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1994، ص199. نقلا عن:عبد العزيز موسى المشاري،كلية الآداب، جامعة محمد خيضر،2020 ، ص 3 .

2 ينظر: المرجع السابق، ص199.

3 ينظر: محمد كاديك ، جريدة الخبر، العدد 9793 ، يوم 08 فيفري 2021م

4 علي البوجيدي، السخرية في أدب علي الدوعاجي تجلياتها ووظائفها، الأطلسية للنشر، ط1 ، تونس ، 2010 ، ص 26.

أما اصطلاحا فقد عبرت عن الصفة المثيرة للضحك في الكلام أو الموقف أو في الكتابة أو "عبارة عن حديث مستملح وسواه أو طرفة أو نادرة أو ملحة أو نكتة أو حكاية موجزة يسرد فيها الراوي حادثاً واقعياً أو مُتخيّلاً فيثير إعجاب السامعين ويبعث فيهم الضحك"1. فالضحك يبقى أهم سماتها المميزة

تشترك السخرية والفكاهة في الضحك إلا أن الضحك هو غاية الفكاهة و هدفها الأسما بينما في السخرية هو نتيجة اللاتوافق بين المعنى المقصود والمعنى الظاهر إذ أن الجملة المضادّة و التي هي محور التعريف الشائع تعتبر جزءا من المكونات الأساسية للملفوظ الهزلي2.

انقسم الباحثون والأدباء حول علاقة الفكاهة بالسخرية حيث ذهب بعضهم إلى اعتبار السخرية نوعا من أنواع الفكاهة كونها تشتمل على عنصر الضحك بينما أدخل فريق آخر الفكاهة في السخرية .

يرى العقاد في السخرية لوناً من ألوان الفكاهة وقسماً من أقسامها 3. كما اعتبر شوقي ضيف السخرية أرقى أشكال الفكاهة.4 أما إبراهيم عبد القادر المازني فإنه يرى أن الفكاهة جزء من أجزاء السخرية وقسم من أقسامها5.

غير أن حقيقة أن بعض أنواع السخرية لا يحتمل أي أوجه من الهزل –كالتهكم السقراطي أو السخرية الرومنسية – يجعل من ربط الساخر بالفكاهي وجعله درجة من درجاته محل نظر و تدقيق كونه يتعارض ما قدمه فلاسفة القرن الثامن عشر و التاسع عشر الذين أعطوا للسخرية طابعا شاملا يتجاوز في كينونته الفكاهة[6] .

1جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان،2010 ،ص 194.

2 ينظر: محمد كاديك، سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة، ص 94.

3 ينظر: عباس العقاد، جحا الضاحك المضحك، مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة والغير هادفة للربح، القاهرة، 2012 ، ص 22.

4 ينظر:شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، دار المعارف، ط3، القاهرة،2004، ص 13.

5 ينظر: إبراهيم عبد القادر مازني، حصاد الهشيم: المطبعة العصرية، القاهرة، ط 2، 1932.، ص 3-5.

6 ينظر:محمد كاديك، السخرية و أدوات الكتابة الساخرة، ص 95 .

الهجاء Satire:

يعد الهجاء أحد ضروب الشعر العربي وهو:"فن من فنون الشعر،يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء، وسواء أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب"1.

يعتبر الهجاء من أقرب المفاهيم إلى السخرية بل إن الهجاء "يتماهى مع السخرية تماما"2 فالسخرية هي امتداد للهجاء غير أن السخرية لطيفة مهذبة تستعمل أسلوب المواربة و التخفي فتدرك ضالتها دون تصريح و تنتقد السلوكات السلبية بهدف التصحيح و الإصلاح على خلاف الهجاء الذي يستخدم الهجوم المباشر للتشهير والتجريح والانتقاص والاعتداء، والسب الصريح و الإهانة بشكل متكرر.3

الاستهزاء Sarcasm:

رغم نقاطع مفهوم الاستهزاء مع السخرية في عدد من النقاط إلا أنه يظل مفهوما مختلفا و لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون مرادفا لها .

يتميز الاستهزاء بكونه نقدا لفظيا موجه لشخص معين ومحدد ،يكون في الكثير من الأحيان حاضرا ، بهدف الانتقاص و التحقير، لذلك فهو أكثر مباشرة و وضوحا من السخرية و هذا ما يجعل الشخص المستهزئ لا يملك مجالا للتراجع أمام الضحية . و إذا كانت السخرية متفاوتة في درجة اللذع بين الخفيف و القوي فإن الاستهزاء يمثل أقصى درجات اللذع فهو يهدف إلى الإيلام 4.

1 محمد حسين، الهجاء والهجاؤون فى الجاهلية، دار النهضة للطباعة والنشر، ط3، بيروت ،1970،ص 12.

2 محمد كاديك، سؤال السخرية، ص98.

3 ينظر: احمد محمد الحوفى ، الفكاهة في الأدب اصولها وانواعها،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1959، ص 72-73.

4 Joana Garmendia , Irony:key topics in semantics and pragmatics, Cambridge University Press, United Kingdom, 2018 ,PP132-134.

التهكم:

يعد التهكم أكثر المصطلحات اختلاطا بمفهوم السخرية، فقد عرفه النقاد العرب القدماء، وتحدثوا عنه وقد قيل في تحديد مفهومه:" هو الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد مكان الوعيد، والاستهزاء في معرض المدح "، فنجد عنصر الضدية الذي يختص بالسخرية متوفرا في مفهوم التهكم[1]. وهناك من جعل التهكم هو السخرية والاستهزاء عينهما بقوله: "هو الاستهزاء والسخرية، وهو ما كان ظاهره جدا، وباطنه هزلا، وطريقته السؤال عن شيء مع إظهار الجهل به، وأن تلقي على محدثك – بعد التسليم بأقواله – أسئلة تثير الشكوك في نفسه حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض، واضطر إلى التسليم بجهله"[2] .

المفارقة Paradox:

تمثل المفارقة مفهوما مختلفا تمام عن السخرية و مع ذلك نجدها حاضرة بقوة في الدراسات النقدية و الأدبية كمرادف لها و يرجع أصل الارتباك الذي يعتري استعمال المفارقة في المقام الأول إلى إشكالية ترجمة المصطلح كما سبق ذكره سابقا. كما أن الدارج بين الألسن أن المفارقة هي رديفة "التناقض" إلى أن هذا مخالف لما جاءت به الشروح اللغوية القديمة فالمفارقة عند ابن منظور هي "المباينة"[3] و هذا المعنى بعيد عن دلالة الاستهزاء أو التهكم . فالحديث عن المفارقة بمعنى "التناقض" يحيلنا إلى إقامة مقارنات بين دالّين يشيران إلى نفس المدلول مما أدى إلى حجب الكثير من الحقائق و تقويض وظيفة العمل النقدي في المجال الأدبي.[4]

و الصحيح أن المفارقة هي بنية تجمع بين قضيتين صحيحتين كل واحدة منهما تنفي الأخرى على خلاف السخرية التي قوامها المواربة و الاخفاء[5].

---

1 ينظر: إيليا حاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1998، ص 74.

2 ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي. الجزء 1. دار الكتاب اللبنائي. ط1، بيروت 1982، ص 306.

3 ابن منظور ص352

4 ينظر:محمد كاديك ، جريدة الخبر ، العدد 9793 ، يوم 08 فيفري 2021م

5ينظر: المرجع نفسه.

الاستنتاج:

لم تستقر السخرية عند الغرب على تعريف واحد منذ ولوجها حقل البلاغة على يد أرسطو بل ظلت تكتسب تعاريف جديدة تضاف إلى تعريفها الأول. فالسخرية لا ترتبط بكاتب معين أو أسلوب محدد أو زمن ما و التاريخ الصحيح لهذا المفهوم هو "تاريخ استعمالاته المتعددة وتداولاته على مر العصور، في سياقات ثقافية واجتماعية متباينة وتاريخانيته وانتقاله بين الأدب والفلسفة والفن جعلاه مفهوما غامضا وملتبسا غير مستقر ومتعدد الدلالات والأشكال، يستعصي على التعريف والحصر"[1].بينما لم يعرف المفهوم تطورا كبيرا في الحاضنة اللغوية العربية.

1 Muecke, Irony and the Ironic, P7.

الفصل الأول

- أنواع السخرية
- ميكانزمات السخرية:
- أسباب السخرية
- وظائف السخرية
- السخرية في الأدب
- السخرية في الرواية
- السياقات المنتجة للنص الساخر

أنواع السخرية:

تتنوع تصنيفات السخرية وتتعدد بتنوّع الدراسين لها، فكل باحث يستند إلى معاييره الخاصة. فمنهم من يرتكز تصنيفه على "الساخر"، ومنهم من يُعطي الأولوية للتأثير والأدوات المستخدمة، أو للوظيفة التي تؤديها السخرية، أو للموضوع الذي يتناوله، وحتى للنغمة الصوتية التي يتميز بها[1].ومن أشهر الصنافات التي وضعت هي صنافة دوغلاس ميوك التي أوردها في كتابه "The Compass of Irony "

تعد الأنواع التالية من السخرية هي الأكثر حضورا في الأعمال الأدبية.

السخرية اللفظية (Verbal Irony):

يرتبط هذا النوع من السخرية باللغة ارتباطا وثيقا حيث يظهر في الخطاب المنطوق أو المكتوب في صورة تباين بين مقصدية المتكلم و المعنى الحرفي للخطاب[2].و يتحقق هذا النوع من السخرية على المستوى الدلالي كما أنه يتحقق أيضا على مستوى التداولي باعتباره مكونا انفعاليا يحمل شحنة من الاستهجان و الاستهزاء المفضي إلى الضحك أحيانا[3].

سخرية الموقف (Situational Irony):

تعتبر سخرية الموقف كجهاز أدبي شكلا من أشكال السخرية الذي ينبني على التعارض أو الاختلاف بين ما هو متوقع حدوثه و ما جرى وقوعه في الحقيقة.يقدم الكاتب من خلال هذا النوع من السخرية للقارئ إمكانية التمييز و إدراك التباين بين المظهر و الواقع في حدود العمل الأدبي و بالتالي تحديد تيمته المهيمنة أو الغاية التي يرمي إليها الكاتب من خلاله[4].

---

1 محمد كاديك، سؤال السخرية و أدوات الكتابة الساخرة، ص129.

2 Raj kishor singh , humour, irony and satire in literature, international journal of english and literature, vol. 3, issue 4, oct 2012,p68-67.

3 أحمد شايب ، الضحك في الأدب الأندلسي ,دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، ط 2، 2008،ص 191.

4literarydevices Editors, situational-irony, https://literarydevices.net/situational-irony

السخرية الدرامية(Dramtic Irony):

تسمى أيضا بالسخرية التراجيدية وقد ارتبط هذا النوع من السخرية بالمسرح و هذا لا يعني اقتصار وجودها في العمل المسرحي .

تتمثل السخرية الدرامية في حالة من التباين الناتج عما تعلمه إحدى الشخصيات و بين ما يعلمه القارئ أو شخصيات أخرى فيعطي الكاتب للقارئ إمكانية الإلمام بحقائق تجهلها شخصية ما[1] فتنشأ حالة عدم توافق و تناقض بين ما تعتقده الشخصية أو ما تتوقعه وما يعرف الجمهور أو القراء بأنه الحقيقة. وهذا ما يخلق توترًا وتشويقًا أو فكاهة، حيث يراقب الجمهور و يتتبع القارئ أفعال وقرارات الشخصيات بينما يعرف ما ستؤول إليه الأمور في النهاية.

تتفرع عن الأنواع السابقة أشكال أخرى من السخرية من بينها:

السخرية السقراطية (Socratic Irony):

تستمد السخرية السقراطية اسمها من طريقة الشخصية الفيلسوفية سقراط في استخراج و توليد الماهيات و تعليم الناس الحكمة و "تعتمد على التظاهر بالسذاجة من أجل الوصول إلى الحقيقة و يتوسل في سبيل الوصول إلى تلك الغاية بفن طرح السؤال أو فن الحوار"[2] .

السخرية الكونية(Cosmic Irony):

تنسب السخرية الكونية أو" تصاريف القدر" إلى الأعمال الأدبية التي يتم فيها تمثيل الإله ، أو القدر ، كما لو كان يتلاعب بالأحداث عمدا لقيادة بطل الرواية إلى آمال كاذبة ، فقط لإحباطها والسخرية منها[3].

السخرية التاريخية(Historical Irony):

1Raj kishor singh , humour, irony and satire in literature,p68-67.

2 د .أحمد شايب ، الضحك في الأدب الأندلسي ,دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، ط 2، 2008،ص 189.

3 Abrams, Meyer Howard. A glossary of literary terms. Italy: Harcourt Brace College Publishers, 1999.p137.

هي أحد فروع سخرية الموقف و تتجلى السخرية التاريخية عندما يقدم المنظور التاريخي نظرة ساخرة حول فعل أو موقف تم اتخاذه في الماضي. هذا النوع من السخرية مثالي لشخصية تجد نفسها في موقف ساخر لا يمكنها أن تتوقعه. كما يوحي الاسم، يمكن أن ينطبق ذلك على الحياة الواقعية وكذلك الخيال[1].

السخرية الشعرية(Poetic Irony):

هي أحد فروع سخرية الموقف و تتجلى عادة في نهاية الرواية أو المسرحية و تتمثل في نيل الشخصيات الجزاء العادل لأفعالها فيكافأ البطل و يعاقب الشرير[2].

السخرية الرومنسية(Romantic Irony):

السخرية الرومانسية هي مصطلح تم تقديمه من قبل فريدريش اشليغل وكتّاب ألمان آخرون في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر للإشارة إلى طريقة في الكتابة الدرامية أو السردية يبني فيها الكاتب الوهم بتمثيل الواقع، ثم يحطمه ليكشف حقيقة أن الكاتب هو الخالق و المتحكم المطلق بالشخصيات وأفعالهم[3].

ميكانزمات السخرية:

"المقصود بالميكانزمات مجموع الطرق والأساليب والاستراتيجيات المستعملة لغايات ساخرة والموظفة لتوليد السخرية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذه الميكانزمات ليس ساخرا في جميع الأحوال، لكن هو كذلك في سياقات مخصوصة وتبعا لمقصدية المتكلم من الخطاب ... وعادة ما يعمد المتكلم إلى استخدام صور وأساليب بلاغية ولسانية قصد تحقيق هذا الانزياح"[4]

فالساخر يستخدم وسائل وأساليب متعددة في سخريته، تداخل كل منها، بحيث لا يمكن إحصاؤها أو عدها، وهي معرضة دائما لابتكار العقول المبتكرة بحيث لا يمكن للبلاغي حصرها في اصطلاحات ضيقة، فمثلها

1 https://www.studiobinder.com/blog/what-is-historical-irony-definition-and-examples

2 https://www.storyboardthat.com/articles/e/types-of-irony

3 Abrams, Meyer Howard, A glossary of literary term,p138.

4 أحمد شايب الضحك في الأدب الأندلسي ، ص202

كحروف الهجاء في أية لغة من اللغات، يمكن للإنسان اشتقاق آلاف من الألفاظ منها، والتعبير عن آلاف الأحاسيس فتكون طبيعية في يده، يستخدمها كيف يشاء[1].

ويرى "محمد بوحجام" أنه ليست هناك ضوابط تضبط الأساليب الساخرة أو شكلها فالسخرية لا تخضع لمذهب معين، ولا لانفعال معين، إنما هي خاضعة للحرية التي يمكننا بها أن نتناول من أمور الحياة الخاصة والعامة ما نشا بالأسلوب الذي نختاره 2 .

السخرية بالجمل و التعبيرات اللاذعة:

السخرية بالجمل والتعبيرات اللاذعة هي استخدام كلمات أو جمل تحمل معاني سلبية أو مهينة أو مبالغة، بقصد التأثير على المستمع أو المتلقي بطريقة سلبية. كقول أحدهم لآخر يحاول إقناعه بشيء: "أنت حقاً عبقري، كيف لم أفكر بهذا من قبل؟" فالمثال السابق يجسد سخرية لفظية حيث تم استخدام الكلمات بطريقة مخالفة للمعنى المقصود .

التنابز بالألقاب:

السخرية بالتنابز بالألقاب هي استخدام أسماء أو كنى تحمل معان سلبية بقصد التعريض أو الاستهزاء أو الإيذاء و قد يكون التنابز بالألقاب بسبب عيب في الجسم أو الخلقة أو الأصل أو الدين أو الفقر أو غير ذلك .

التلاعب اللفظي:

أسلوب التلاعب اللفظي في السخرية هو استخدام كلمات أو عبارات تحمل معاني متعددة أو متناقضة، بقصد إيصال رسالة مغايرة للمعنى الحرفي أو السائد يستخدم هذا الأسلوب لإضفاء لمسة فكاهية أو نقدية أو ساخرة على النص، ولجذب انتباه المتلقي وتحديه لفهم المعنى المقصود.

1 نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأب العربي، ص 47.

2 بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص40.

الاستفهام الساخر:

"ارتبطت السخرية في أصولها الأولى بفن طرح السؤال و ادعاء الجهل كما رأينا في السخرية السقراطية و ظلت محافظة على هذه الخصيصة الحوارية حيث استعملت سلاحا لتهزئة الخصم و الزراية به في المناظرات و المساجلات و الرسائل الهزلية الهجائية"1.

الأمر :

أسلوب الأمر هو أسلوب يستخدم في اللغة لطلب أو إلزام المخاطب بفعل شيء ما، ويتضمن معنى الاستعلاء والتحكم. يمكن أن يكون أسلوب الأمر حقيقيًا أو بلاغيًا، حسب الغرض منه. أسلوب الأمر كأسلوب ساخر هو استخدام أسلوب الأمر بطريقة تهكمية أو نقدية أو فكاهية.

المحاكاة الساخرة:

المحاكاة الساخرة هي أسلوب يستخدم في الأدب لتقليد أو تناول أسلوب أو موضوع أو شخصية معروفة بطريقة تهكمية أو نقدية أو فكاهية . يهدف هذا الأسلوب إلى إظهار العيوب و النقائص، وإلى إثارة ردود فعل متنوعة من المتلقي مثل الاستغراب أو التفكير و يمكن أن تكون المحاكاة الساخرة على شكل قصيدة أو رواية أو مسرحية أو فيلم أو كاريكاتير .

الأنسنة و التحويل:

"وتعتبر كليلة ودمنة" لابن المقفع وحكايات "لافونتين" مثالا لهذا النقل والتحويل الذي يتم بين الإنسان والحيوان، ففي بعض هذه الحكايات نجد أنفسنا أمام شخصيات متنكرة في صورة حيوانات تتصرف و تفكر وفقا لذكاء البشر ومنطقهم، فمن خلال جلد الحيوان نرى الإنسان وفي بعضها الآخر يتحقق التوازي بين الطبيعة الحيوانية والطبيعة الإنسانية"2.

1 أحمد شايب ، الضحك في الأدب الأندلسي ص 209

2 أحمد شايب الضحك في الأدب الأندلسي ص 233

والأمثال والحكم الخرافية والحكايات على ألسنة الحيوان هي دروس غير مباشرة في الأخلاق تتصل بالهزل بتقنية النقل والتحويل وتشترك معه فيها، ذلك أننا "نحصل على أثر مضحك بنقل التعبير الطبيعي بفكرة ما إلى مستوى آخر"1.

وقد ينشأ الشعور بالضحك عندما يكون النقل إلى الاتجاه المعاكس من خلال"خلع صفات الحيوان على الإنسان إما بالتشبيه أو بالاستعارة والدمج وتصويره وهو يتصرف ويعتاش كما الحيوان فالنقل في الصنف الأول يتم من الإنسان إلى الحيوان و في الصنف الثاني من الحيوان إلى الإنسان، فالإنسان هو المشبه والمستعار له والمسند إليه، والحيوان هو المشبه و المستعار "2.

التناص:

يعد التناص مفهوما مركزيا في النقد الأدبي وتحليل الخطاب و قد عرفته كريستيفا بأنه "ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافي ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"3 أي حضور نصوص سابقة في نصوص لاحقة.

و التناص الساخر هو استحضار نص أدبي داخل نص أدبي آخر بطريقة تهكمية أو ساخرة، وهو يعتمد على العلاقات بين النصوص المختلفة والمشتركات الثقافية بين المتكلم والمتلقي. يوجد العديد من الأمثلة على التناص الساخر في الأدب العربي، سواء في الشعر أو الرواية أو المقال.

أسباب و دوافع الخطاب الساخر :

1 الضحك، هينري بيركسون، ص 101

2 احمد شايب الضحك في الأدب الأندلسي ص 235

3 جوليا كريستيفا ، علم النص ،ترجمة فريد الزاهي ،دار توبقال للنشر ، المغرب ،ط2 ، 1997 ،ص 21.

لقد تنوعت وتعددت الأسباب و الدوافع المؤدية إلى السخرية من أديب لأخر كونها انعكاس لحالته النفسية و الفكرية و الظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية [1] و يمكن تلخيص الأسباب العامة لها في النقاط التالية:

1. تخفيف الألم الذي يعانيه الأفراد نتيجة تأثيرات الواقع ومشاكل الحياة اليومية من خلال استخدام استراتيجيات التعويض والتنفيس للتخلص من هذا الألم والتقليل من حالة السلبية الناتجة عنه[2].

2. النقد والتصحيح الاجتماعي للمؤسسات والأفراد الذين يتجاوزون قيم المجتمع الفكرية والثقافية. بهدف تحسين السلوك الاجتماعي وإصلاح الأخطاء المرتكبة وتعزيز القيم الإيجابية في المجتمع.[3]

3. توحيد الرؤية والسعي إلى تحقيق توافق وتوحيد الرؤى بين الأفراد في المواقف الصعبة والتحولات الخطيرة التي يواجهونها، سواء كانت تتعلق بتحديات خارجية أو تحديات داخلية بهدف تعزيز التضامن والتعاون وتعزيز القوة الجماعية في مواجهة التحديات.[4]

4. رفع المعنويات وزيادة الثقة بالنفس و تعزيز الروح المعنوية للأفراد بالتشجيع على التغلب على الخوف والقلق والمواقف المحرجة [5].

5. تحقيق الحرية المؤقتة و التفلت من سيطرة القوى المهيمنة والسلطة العليا و القوانين الظالمة [6].

وظائف السخرية:

1 محمد شكري المتولي المتولي،جماليات السخرية في ديوان كلمت غضبي، مجلة كلية اللغة المربية، ع36،القاهرة،2021،ص1692

2 نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي،دار مكتبة الحامد للشر والتوزيع،ط1،عمان،2012،ص24.

3 المرجع نفسه.

4 المرجع نفسه.

5 المرجع نفسه.،ص25.

6 المرجع نفسه..

لطالما كانت السخرية أداة تعبير فعالة في يد الساخر يعبر بها عن واقع أمته الصعب و مايشعر به من مرارة و إحساس بالظلم و الضعف أمام مظاهر التسلط و الاستبداد و والتحديات الاجتماعية والثقافية التي تعصف بمجتمعه و تنخر كيانه وتشتت شمله و السخرية بهذا تعبر عن رؤية الساخر للواقع المحيط به، وتهدف إلى إيقاظ الناس من سباتهم بإثارة التفكير والوعي. و تتصل بالسخرية عدة وظائف تبعا لغايات الساخر و حالته النفسية فتؤدي مجموعة من الوظائف أبرزها الوظيفة النفسية و الوظيفة الاجتماعية.

الوظيفة الاجتماعية :

تهدف إلى كشف العيوب والمساوئ والتناقضات في المجتمع، وإبراز القيم والمثل الإنسانية، وتحريض الناس على التغيير والتقدم فأكثر ما يميز السخرية هو تلك النزعة النقدية التي "تحاول نقل كل ماتعج به الحياة من سلبيات و ذلك يتتبع ما يجري في الواقع و نقده و معالجته بهدف الإصلاح و التقويم"[1]. كما تساهم في توحيد المجتمع بإنشاء شعور مشترك تجاه التغيرات في الواقع الاجتماعي[2] و في توطيد الروابط بين الأفراد بإثارة الضحك والمزاح .

الوظيفة النفسية:

تهدف إلى تخفيف الضغوط والآلام التي يعاني منها الساخر أو المتلقي، وإبراز جانب المرح والتفاؤل في مواجهة المصاعب والمشكلات و " تساهم في رفع الروح المعنوية، أو الثقة بالنفس، بالاستعلاء على الخوف والقلق، والمواقف المحرجة والشعور بالتفوق والقدرة على الانتصار، وتشكيك العدو في نفسه ومواقفه، فيما يسمى بالحرب النفسية "[3] كما تساعد على التعبير عن المشاعر والانفعالات بطريقة غير مباشرة أو مجازية تمكن الساخر من التنفيس

1 ناصر بوحجام ،السخرية في الأدب الجزائري الحديث،جمعية التراث،2004،ص 19.

2 ينظر: محمد شقير، السخرية والسلطة بالمغرب من المأسسة إلى التجريم، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، ط1 2009، ص 226.

3 نزار عبد الله خليل الضمور السخرية والفكاهة في العصر العباسي، ص25

عن نفسه فهي" تؤدي دورا صحيا لا نجد له نظيرا في الحياة ففيها يتحقق ضرب من التعويض الراقي، بل وسيلة للتهرب من بعض مشاغل الحياة، ومنه فإن السخرية توطن النفس على معايشة الحاضر، وإعدادها للمستقبل "[1].

الوظيفة التوجيهية و التربوية:

تهدف إلى إصلاح الذات والآخرين بنقد بناء وهادف، وإيصال رسائل ومواعظ بطريقة مقبولة ومحببة، وإثارة التفكير والوعي في القضايا المهمة. كما تساعد على تصحيح المفاهيم الخاطئة أو المغالطات الشائعة. ويؤكد ذلك ناصر بوحجام عندما قال:"وتقوم السخرية بوظيفة تربوية مهمة أيضا، وهي مساعدة الإنسان على تثقيف نفسه وتقويم مخيلته، وذلك بتمرين ذهنه على التفكير السليم وتدريبه على توخي المنطق السديد"[2].

الوظيفة السياسية:

تهدف إلى مواجهة الظلم والطغيان والفساد بلغة جريئة ولاذعة، وإبراز المطالب والحقوق المشروعة للشعوب، وتحريك الرأي العام نحو التغيير والثورة. كما تساعد على التنديد بالأعداء أو المستبدين أو المستغلين.

الوظيفة الحجاجية:

تمتلك السخرية قدرة حجاجية و إقناعية حيث توظف مجموعة من الأساليب كالمحاكاة الساخرة و التناص الساخر لإقناع المتلقي و استمالته و حمله على تبني القضايا التي يعرضها الساخر عليه[3].

الوظيفة التواصلية:

تساعد السخرية على إيصال الرسائل والمغزى المراد منها بطريقة فعالة كونها تمتلك قوة تواصلية مؤثرة تخلق جوا من التضامن شبيها بما يكون في مجموعات العمل مما يساهم في تحقيق الأهداف المرجوة من الاتصال، سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو توجيهية أو سياسية ومن الملاحظ أن وظيفتها تتعدى النقد البناء إلى تحقيق تأثير معاكس و

1 فراس عمر أسعد الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقام بين عامي 1948–1993، ص 11

2 ناصر بوحجام ، مرجع سابق ، ص39.

3 ينظر: لامية طالة، السخرية: بين المدلول اللغوي والتوظيف الاجتماعي والسياسي، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية ،مج 14، ع2، 2021 ،ص 189.

"يمكن أن ينتج عنه تأثير سلبي حيث أن الموضوعات غالبا ما تحكم على التصريحات الساخرة والسؤال الذي قد يدفع المتحدثين إلى اختيار استخدام السخرية"1.

الوظيفة التقريرية:

ورد في لسان العرب: الإِقرارُ هو الإِذعانُ لِلْحَقِّ والاعترافُ بِهِ و أَقَرَّ بِالْحَقِّ أَي اعْتَرَفَ بِهِ.2

أما اصطلاحا فهو حمل المخاطَب على الإقرار بما يعرف، وإلجاؤه إليه وطلب اعترافه[3].

و التقرير وظيفة من وظائف السخرية و هو أسلوب بلاغي يستعمله الساخر بغية تأكيد المعنى في دهن السامع أو القارئ بغية حمله على الاعتراف به.

السخرية في الأدب:

رغم تهافت الفلاسفة على دراسة السخرية كبعد فلسفي في الحياة إلى أن هذا لا ينفي أدبيتها باعتبارها جهازا بلاغيا ذات مكون لساني و سيميائي تؤدي وظيفة حجاجية .و تتحدد السخرية في مكونين:

المكون الانفعالي أو التأثيري:و قوامه الاستخفاف و مايلازمه من ضحك أو رغبة فيه و على الاستهجان و يتجلى في الدافع و الأثر النفسي للسخرية.

المكون اللساني و البنائي:وقوامه وجود قلب دلالي و ما ينتج عنه من حالة غموض و التباسه لدى الضحية أو القارئ[4].

1 لامية طالة، السخرية:المرجع نفسه،ص 190.

2 ينظر: ، لسان العرب، مادة "قَرَرَ"ج5، ص 88 .

3 الرضي الإستراباذي ،شرح الكافية؛ ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، عن منشورات جامعة قار يونس ط2، بنغازي، 1996،ج4 ،ص 83. .

4 محمد العمري ، بلاغة السخرية الأدبية ،مجلة علامات ،ج20 ، م5 ،1996 ، ص 24.

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/ALamat_fe_alnqd/ALamat_fe_alnqd_1996/Issue_20/index.html

السخرية في الرواية:

أكد بميكائيل باختين أن السخرية هي جزء أساسي من أي نص حواري حقيقي.و النص الحواري هو الذي يتيح تعددية الأصوات كما يمكن للسخرية أن تساهم في خلق هذا الشعور بالحوارية من خلال إتاحة الفرصة للكاتب للخروج من نصه والتعليق عليه من منظور مختلف مما يساعد في إيجاد فهم أكثر تعقيدًا ودقة لمعنى النص.

أما جورج لوكاتش فيؤكد على صفة الرواية الأجناسية فهي تشتمل على السخرية بالضرورة حيث اعتبرها :

"روح الأعمال الروائية، فهي البنية الناظمة لها... وأنها كلمة تدل من حيث هي مكون للجنس الأدبي الروائي"[1]

السياقات المنتجة للنص الساخر:

إن محاولة فهمنا للخطاب الساخر تقتضي من الإحاطة بالجانب البسيكولوجي للساخر وحمولته الإيديولوجية ونزعته الفكرية التي تتعكس بشكل أو بأحر في نتاجه الأدي.

السياق النفسي:

تعتبر السخرية و الكتابة الساخرة انعكاسًا لتجارب الكتاب الشخصية أو مشاعرهم أو هويتهم فيكون العامل النفسي بذلك "من المحفزات التي تدفع الأديب للكتابة و توقض لديه الرغبة في بعث تأثراته النفسية الناجمة عن تجارب مرّ بها، وملاحظات تركت أثرها فيه وبعثت فيه القلق وعدم الاستقرار النفسي فضلا عن حالة لا اطمئنان الناجمة نتيجة تراكم التناقضات في مجتمع ما"[2]. وتكون الكتابة منفذا للتعامل مع صراعاتهم أو نزاعاتهم أو صدماتهم.

السياق الإيديولوجي:

يؤثّر السياق الإيديولوجي في صقل النص الساخر وجعله بطاقة تعريف لصاحبه، حيث تبرز خلفياته الفكرية من خلال سلسلة من المفارقات والتلميحات الهادئة والضاحكة بين السطور. يتم استخدام عناصر الجذب العاطفي

1 جورج لوكاتش، نظرية الرواية، ترجمة الحسين شعبان، منشورات التل، الرباط، 1988، ص70.

2 حمزة زوغري و مليكة فريحي،النص الساخر بين الأدبية و المرجعية ،مجلة التعليمية، مج11، ع2، 2012، ص105

والتصوير الفني والحجاج لإشراك المتلقي وإقناعه بتبني التوجه المقدم. تكمن في ذلك محاولة تأكيد علاقة مأساوية بين الفرد والعالم، إما لإظهار ما هو مضمر أو لإثبات التوجه المؤثر وإشراك المتلقي فيه [1].

السياق الاجتماعي:

تلقى الكتابة الساخرة الضوء على القضايا الاجتماعية وتتعامل معها بشكل جاد، وتندرج ضمن نسيج المجتمع بمكوناته المختلفة حيث يساهم المجتمع وتفاعلاته في صياغة النص الساخر، مما يتيح للكاتب مجالًا واسعًا لاستخدام الإسقاطات انطلاقا من الواقع الاجتماعي الملموس باستخدام تقنيات الترميز والإيحاء المركزة والهادفة لتصوير الحقيقة بشكل فكاهي ومفهوم و بالتالي تشكّل الكتابة الساخرة وسيلة لمناقشة وتسليط الضوء على القضايا الاجتماعية بطريقة مثيرة ومفيدة.[2]

يُعتبر السياق الاجتماعي من أهم المصادر التي تؤثر في تحديد خصائص النص الساخر. ففي ضوء هذه المعطيات، يظهر أن النص الساخر يستمد جوهره من الواقع المأزوم والمشكلات المجتمعية مثل الفقر واللامساواة. يتأثر النص الساخر أيضًا بشخصية الكاتب وتجاربه الاجتماعية، وتتشكل ميوله الفكرية والمشاعر الناتجة عن ذلك. بناءً على هذه العوامل، يتم تحديد حدود النص الساخر ومعالمه، ويتم توجيه النقد والسخرية نحو المشاكل والتحديات التي يواجهها المجتمع[3].

1 المرجع نفسه.، ص 107

2 المرجع نفسه ص 108

3المرجع نفسه

السياق الثقافي:

يتألف السياق الثقافي للنص الساخر من مجموعة من الروافد التي تساهم في تشكيله وتميزه. [1]يتضمن هذا السياق الأمثال والحكم والنصوص الشعرية القديمة والمسرحية، بالإضافة إلى الصور الكاريكاتورية والمشاهد والقصص الفكاهية حيث يلجأ الكاتب الساخر إلى توظيف هذه العناصر لتعزيز أدبية نصه و زيادة قوته وفعاليته.

1مرجع نفسه

الإستنتاج:

ونخلص في نهاية هذا المبحث إلى أن الرواية ذات طبيعة ساخرة بالضرورة تتمظهر في صور عدة منها ما هو لغوي و منها ما هو غير لغوي و تتقرر وظيفة السخرية داخل الرواية تبعا لنوعها و الآليات التي يوظفها الكاتب .

الفصل الثاني

- ❖ بيبليوغرافيا الكاتب
- ❖ متن الرواية
- ❖ عتبات الرواية
- ❖ تيمات الرواية

أقر طاهر روابنية : " بعدم وجود نظريّة موضوعاتية متكاملة"[1] . وبالتالي انعدام آليات إجرائيّة محددة، بسبب تباين زوايا النّظر التي ينظر النقاد .

من هنا استلهمنا طريقنا في التحليل من الناقد الفرنسي "جون بول ويبر" ، فكما هو معروف عنه أنه أسس منهجه من ثلاثة مناهج وهي: المنهج النفسي والمنهج الاجتماعي إضافة إلى المنهج التاريخي وذلك بتوظيفه للسيرة الذاتية للكاتب كونها تعد ركيزة لفهم العمل الأدبي.

بيبليوغرافيا الكاتب:

أيمن العتوم شاعر وروائي أردنيّ (ولد في الأردن – جرش سوف 2 آذار 1972)، تلقّى تعليمه الثانوي في دولة الإمارات العربية المتحدة – إمارة عجمان والتحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية ليتحصل على بكالوريوس الهندسة المدنية فيها عام 1997 وفي عام 1999 تخرّج في جامعة اليرموك بشهادة بكالوريوس لغة عربية، ثمّ التحق بالجامعة الأردنية ليُكمل مرحلة الدراسات العليا في اللغة العربية وحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراة في اللغة العربية تخصص نَحو ولغة عامي 2004 و2007، اشتُهر بروايته يا صاحبي السجن التي صدرت عام 2012 وتعبّر عن تجربة شخصيّة للكاتب في السجون الأردنية خلال عامَي 1996 و 1997 بكونه معتقلاً سياسياً. كما له دواوين شعريّة عديدة أحدثها ديوان «طيور القدس عام 2016».

وقد طُبع أدب أيمن العتوم بالطابع الإسلامي، وذلك جليٌّ في عناوين رواياته؛ حيث يقتبس أسماءها من آيات القرآن الكريم، كما يظهر ذلك في كثير من قصائده.

وقد ساهمت نشأته الاجتماعية حيث والده الدكتور علي العتوم أحد المحسوبين على الحركة الإسلامية في الأردن في ذلك، كما كان لوالده الدور الأكبر في تحبيب اللغة العربية وآدابها وأهلها إليه؛ لكون والده كان أستاذا للغة العربية في جامعة اليرموك.

1 طاهر روابنية، مجلة التبيين، القراءة الموضوعاتية للنص الأدبي، قراءة في فاتحة ضمير الغائب لواسيني الأعرج، ع 14 ، 1999، ص 67.

الدواوين الشعرية:

خذني إلى المسجد الأقصى2009

نبوءات الجائعين.2012

قلبي عليك حبيبتي.2013

الزنابق.2015 .

كتب الروائي أيمن العتوم تسع روايات بدأ من 2012 إلى 2023 وتتنوع موضوعاتها بين أدب السجون والمتمثل في(يا صاحبي السجن،يسمعون حسيسها،اسمه أحمد) وجزء من (ذائقة الموت) و موضوعات أخرى تتحدث إما عن مقاومة الطلاب للسلطات داخل الحرم الجامعي أو عن المشكلة السورية و أخرى عن تاريخ الرق و العبودية.

متن الرواية:

رواية صوت الحمير هي رواية فلسفيه ساخرة بطلها الحمار أبو صابر الذي يروي أحداثها بلغته ، ينتقل أبو صابر من مالك إلى مالك إلى أن ينتهي به المطاف إلى الشيخ علي الذي يكتشف قدرة الحمار على تكلم اللغة العربية يصحب الشيخ علي الحمار معه في رحلاته إلى محافظات الأردن وقراها وهناك يصادفان أقواما كثيرين فيحاورهم و يكشف ضحالة تفكيرهم و جهلهم و تبرز مقدرة الحمار على النقد والملاحظة .طوال صحبة الحمار للشيخ يتعلم منه العقيدة والأدب والفلسفة و التاريخ وبعد موت صاحبه يحزن عليه حزنا شديدا و ينتقل إلى مالك جديد إلى أنه سيء الطباع فيقرر الهرب و يأسس حزبا سياسيا الذي يعتبر الأكبر في المنطقة و الأكثر تنظيما ثُمّ يُؤسّس فرقةً مسرحيّة، و يُقدّم برنامجًا إذاعيًّا يذيع صيته في كل البقاع و بعد عمر من العطاء يموت الحمار وهو راض عما قدمه للبشرية.

ترتكز الرواية على حقيقة أن الحمار صديق وفي للإنسان يتميز بالذكاء والصبر والقوه والقناعة وتظهر الجانب المظلم من البشرية من خلال الكشف عن طبائع مختلف شرائح المجتمع بأسلوب ساخر ومضحك ومقارنتها

مع جنس الحمير كما تطرح الرواية أفكارا عميقه حول الحياة وفلسفه الوجود وطبيعة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وكذا علاقته بالحيوان.

عتبات المتن:

عتبة العنوان وعلاقتها بالمتن الروائي(صوت الحمير):

سار الكاتب على نهج واحد واتبع استراتيجية موحدة تتمثل في بناء عناوينه على الآيات القرآنية واقتباسه لجمل وتراكيب القرآن الكريم.

كما نشهد الحضور البارز للنص القرآني بجمله وآياته في كافة روايات العتوم ، ليس على مستوى العناوين فقط بل في بنية النص السردي نفسه، و نصوصه السردية تعج بالتناص مع الكثير من النصوص السابقة كالنصوص الشعرية والقصص الدينية والأحداث التاريخية وغيرها، وهي تختلف من رواية لأخرى و لكن الثابت والمشترك هو التناص القرآني.

ولا يخفى علينا ما تتميز به "اللغة القرآنية من قدرة على الوصل بين الكاتب والمتلقي بحيث يستطيع التأثير فيه بشكل مباشر"[1]. وللحدث التناصي عموما "سواء أكان صريحا ظاهرا أم خفيا مخاتلا دلالات ووظائف تتصل بموقعه في بنية النص ولكن تواتر الظاهرة التناصية في تجربة مؤلف أو تيار أدبي قد يتيح دلالات أخرى تتصل بتصور للكتابة ووظائفها في وضعية اجتماعية وثقافية محددة"[2]

1 أحمد طعمة حلبي ، التناص بين النظرية والتطبيق (شعر البياتي نموذجا)، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2007 ، ص 100.

2 مجموعة من المؤلفين ،إشراف محمد القاضي ، معجم السرديات،ط1، ص 116.

قراءة في العنوان:

يمثل العنوان المدخل الرئيسي للولوج إلى عالم الرواية وإن كان هو أول ما يقرؤه المتلقي فإنه آخر لمسة يضعها الكاتب في عمله الأدبي كونه الحامل لشيفرته و مرآة نسيجه و الإعلان الذي يبوح بأسراره و هو بذلك متعدد أداة تشويق و إغراء تخلق رغبة جامحة في نفس القارئ لدخول عالم الرواية.

لم يكن اختيار الكاتب للعنوان عبثيا بل كان نابعا من ذات واعية، حيث جاء معبرا و مغريا يترك القارئ في حيرة و يدفعه للتساؤل ومن الأسئلة التي يستدعيها :

ما هي الرسالة أو المعنى العام الذي يحمله عنوان "صوت الحمير" في السياق الروائي؟

هل الحمير ترمز إلى شيء معين ؟

هل للعنوان علاقة بشخصية محددة في الرواية أو بنقطة تحول معينة في القصة؟

كل هذه الأسئلة ناجمة عن لفظتين فقط و هذا تأكيد لدور العنوان في الرواية و الذي خلق حالة من الفصول و الحيرة لدى المتلقي.

انطلاقا من هذا سنقوم بدراسة عنوان رواية "صوت الحمير" لاستقراء دلالاته خاصة و أنه يرتبط بإحدى التيمات الرئيسية.

جاء العنوان في صورة مركب إضافي يتكون من مضاف "صوت" و مضاف إليه "الحمير" ومجيء العنوان جملة ناقصة على هذا النحو يثير فينا التساؤل للوصول إلى تمام المعنى.

صوت: هو اسم مفرد نكرة و كونه جاء في سياق النكرة دال على العموم .

و الصوت هو الكلام والفكر والرأي.

الحمير: مفرده حمار و هو اسم معرفة يدل على جنس من الحيوانات المستأنسة التي رافقت الإنسان في حياته اليومية منذ فجر التاريخ و التي تمتاز ببنيتها المورفولوجية القوية و شدة تحملها و صبرها و بقدرتها على التكيف مع المناخات

القاسية، سواء في المناطق الجبلية أو الصحراوي بالإضافة إلى قوتها البدنية، و بذكائها وقدرتها على التعلم وتعد الحمير حيوانات وفية ومخلصة، ويمكنها تطوير علاقة قوية مع مربيها أو صاحبها.

و الصوت سمة مميز للحمير و قد ذكرت في القرآن الكريم في معرض ذم الكفار غير أن الكاتب وظفها للدلالة على صوت الجماعة أو الفئة المهمشة المناهضة للمظاهر الفساد و الاستبداد البشري كما أن كلمة ورود كلمة صوت مفردة و الحمير جمع يحيل إلى الاتحاد و الاتفاق .

و الحمار كشخصية في الرواية يعتبر رمزا أو قناعا يختفي من وراءه الكاتب لتمرير أفكاره و لتجنب محاسبة السلطة فاشتمل العنوان على صورة ساخرة يكون فيها المعنى الظاهري مخالفا لتوقعات القارئ.

قراءة في الغلاف:

الشكل: الغلاف على شكل مستطيل طولي، وهو شكل شائع في إخراج الروايات، يعطي انطباعا بالتمدد والتوسع في المساحة والزمن.

التقسيم: ينقسم الغلاف إلى ثلاثة أجزاء، يتضمن كل جزء عنصرا مهما في تشكيل الدلالي: الجزء الأول يضم صورة الحمار، وهو رمز للثبات والصبر والحكمة. الجزء الثاني يضم العنوان، وهو عنصر أساسي في تحديد هوية الرواية وإثارة فضول القارئ. الجزء الثالث يضم ميكروفونا، وهو رمز للتواصل والتحدي والجرأة والانتقاد.

الألوان: الغلاف متدرج من البني إلى الأبيض، وهذا يعطي تناغما بصريا بين العناصر، كما يعبر عن التباين بين الدفء والبرودة، الظلام والنور، التقليد والتجديد.

الموقع: يحمل موقع كل عنصر في الغلاف دلالة معينة، فصورة الحمار في الجزء العلوي تشير إلى أهمية هذه الشخصية في سير الرواية، كما تبرز جزءا من وجهه فقط لإثارة التشويق حول هويته ودوره. عنوان الرواية في وسط الغلاف يشير إلى المحورية والتركيز في رسالة الرواية، كما يستخدم خط كبير وبارز لجذب انتباه القارئ. ميكروفون الرواية في الجزء السفلي يشير إلى دور هذه الأداة في نقل صوت الروائي أو شخصياته إلى العالم، كما يظهر في زاوية مائلة لإظهار حركة وديناميكية.

إذن، يمكن أن نستنتج أن غلاف هذه الرواية يحمل دلالات غنية ومتعددة، تتصل بمضمونها ورؤيتها، كما تستخدم عناصر فنية متقنة لإبراز جمالية هذه الرواية وإغراء قارئها.

رؤية الكتب:

تعتمد رؤية العالم عند أيمن العتوم على نظرة شمولية، يفسر فيها مجريات الأحداث بشكل متحرك غير ثابت،و مفهوم هذه الرؤية يعني "ثمة صورة كلية يكونها الإنسان لنفسه عن نفسه وعن العالم من حوله، تعتمد على الموقع الذي يحاول منه الرؤية، وزاوية النظر التي يتخذها، والبيئة الطبيعية والنفسية والاجتماعية، والنظام الفكري بمكوناته اللغوية وأطره المرجعية ... هذه الصورة الكلية هي التي تعرف الإنسان، عندما تنظر إليه من الخارج، وتعرفه برؤيته هو لنفسه وللأشياء من حوله»[1]، فهي تعني وعي الإنسان و تصوره لنفسه و ما حوله وقد صبغ رواياته بالسخرية من حال العالم اليوم و الذي تشضت فيه كل القيم الأخلاقية و انتشر فيه التطرف والظلم والفساد و . في رواية صوت الحمير، يستخدم الكاتب أسلوبا ساخرا ومبطنا لإبراز التناقضات والصراعات التي تحكم علاقة الإنسان بالآخر .

يوظف الكاتب في سياق بناء العمل الأدبي أساليب و أدوات مختلفة بغرض توزيع شبكة المعاني على الأجزاء المكونة للنص و التي تتصل جميعا بالفكرة الجوهرية و التيمة المهيمنة.

تختلف الأساليب و الأدوات المستعملة في العمل الواحد حسب طبيعته و الفكرة المستقرة في دهن الكاتب فيعتمد على الاستعارة و التكرار و اللغة التصويرية و الرمزية و السخرية..

تعتبر السخرية جهازا بلاغيا فعالا عندما يكون توجه الكاتب في الرواية توجه إصلاحي فيصوب سهام النقد اللاذع لفئة معينة من المجتمع و يفضح ممارساتها السلبية و يواجه مظاهر الظلم و الاستبداد ،و تمكنه السخرية من التخفي من وراء القناع و ينسحب حضوره الفعلي وراءه ليترك مكانه واجهة تحفظه من عواقب ما فد تسفر عنه آراءه و نقده للسلطة خاصة فالأديب الساخر ناقد بطبيعته و فعل السخرية الذي يمارسه لا يهدف إلى الإيلام و التشنيع وإنما غايته تحقيق الإصلاح و زرع الوعي و نزع ثوب الغفلة .

1 فتحي ، ملكاوي، رؤية العالم عند عبد الرحمن بن خلدون، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس، ع 4، 2006، ص 300

تتجلى السخري في رواية صوت الحمير من خلال التيمات التالية:

تيمة الإنسانية و الحيوانية:

تمثل تيمة الطبيعة الإنسانية و الحيوانية في رواية "صوت الحمير" النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود و الذي يخترق نسيج النص ليصل إلى تجربة الكاتب و يفصح عن عالمه الخاص و تتفرع عن هذه التيمة شبكة من الأفكار الملحة على الكاتب والتي تتوسع انطلاقا منها فتشكل مجموعة متنوعة من الظهورات المحيلة إلى المعنى.

و تنسج حول هذه التيمات تيمات رئيسية أخرى تحيلنا إلى القضايا الكبرى التي يتأسس عليها عالم الرواية.

تيمة الحمار:

يعكس الحضور الواسع للحمار في الثقافات العالمية والأداب أهمية هذا الحيوان وتأثيره الكبير على الإنسان و إن دل على شيء فإنما دل على قرب مكانته عند الإنسان بل هو رفيقه وشاهد ومرآة للإنسان في تاريخه وحضارته يتجلى ذلك في الثقافات الأسطورية بالآلهة والأبطال في الميثولوجيا اليونانية والرومانية، كما ظهر في الكتب المقدسة للديانات السماوية.أما في الآداب القديمة، فقد كان شخصية أدبية مهمة في بعض الأعمال الروائية والشعرية. فهو بطل رواية "الحمار الذهبي" لأبوليوس، التي تروي قصة شاب تحول إلى حمار بسبب سحر، وعاش مغامرات مختلفة قبل أن يستعيد شكله بعد التحول إلى معبد إيزيس. كما هو شخصية رئيسية في رسالة " الصاهل والشاحج" لأبي العلاء المعري، التي تعبر عن نقد لاذع للوضع السياسي والاجتماعي في زمانه. وفي الشعر، كان الحمار مصدراً للتشبيه والتمثيل لبعض الصفات أو المواقف.

استمر تواجد الحمار في بعض الأعمال الحديثة والمعاصرة، خصوصاً في أدب الأطفال والشباب. فهو صديق وفي للإنسان في قصص مثل "ذكريات حمار" لكونتيس دو سيغور، أو "حمار الحكيم" لتوفيق الحكيم. كما هو رمز للثورة أو المقاومة في روايات مثل "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل، وقد استخدم بعض الشعراء الحديثين مثل أحمد مطر الحمار كوسيلة للتعبير عن السخرية أو الانتقاد من الواقع العربي.

تعتبر تيمة الحمار تيمة أساسية في النص حيث تتداخل مع بقية التيمات و تتفاعل معها من خلال العلاقة التي تنسجها داخل النص لتشكل الموضوع الرئيسي .

يستعمل الكاتب شخصية أبي صابر قناعا له فيختفي من وراءه ليترك لنا الحمار يروي الأحداث بلغته الخاصة ليعبر عن آرائه وانتقاداته للمجتمع والسياسة والدين بطريقة ساخرة وجريئة.

يشارك الحمار أبو صابر في تقديم وبناء العمل الروائي و رؤية الكاتب ، بل هو أساس هذا العمل والمحرك لقطعه والحبل الذي يشد نسيجه بصفته البطل الرئيسي.

يعتبر تواجد الحمار داخل الرواية خلقا مستمرا للأثر الساخر إذا يخرق أفق توقعات المتلقي و الشخصيات الأخرى بتصرفاته وآرائه ومواقفه التي تتنافى مع دوره المتوقع كحيوان أليف وبليد كما أن نقده المستمر لسلوك البشري من خلال السرد أو الحوار لا يخلو من مواقف ساخرة تضفي على الأحداث طابع المتعة و تشدنا نحو المعاني المضمرة

تيمة المقدس و المدنس:

يصنف العالم الاجتماعي إميل دوركهايم المعتقدات الدينية إلى مجموعتين: المقدس والمدنس والمقدس لا يقتصر على الأديان التي تؤمن بإله في السماء من منظور غربي، حيث يتسع المفهوم ليشمل أي شيء يحظى بقداسة إجتماعية، سواء كان مكاناً أو زماناً أو حيواناً أو غيره و المقدس هو ما ينفصل عن العالم العادي ويخضع لقواعد وقيود خاصة، في حين المدنس هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية والإنسانية[1].

تتناسل من بهذه التيمة التيمات التالية:

الدين:

يتصل الدين بالمقدس اتصالا وثيقا وما الدين إلى منظومة متكاملة من المعتقدات و العبادات و المعاملات التي تنظم حياة الفرد و علاقته مع ربه و مع بني جنسه و لطالما كان حضور الموضوعات الدينية مكثفا في الإنتاج

1 لونا الحسني، المقدّس والمدنّس،2016 https://mindstory.org/

الفكري الإنساني عامة و في الرواية خاصة كونها و انعكاس للمنظومة الفكرية للكاتب و مجتمعه و ترجمان لتصوراته وقد تعددت المضامين في الرواية العربية خاصة فتناولت قضايا المرأة الإيمان و الشك و الأخلاق و المرأة و التطرف و الإرهاب.

تضمنت رواية صوت الحمير عدة قضايا مجتمعية مرتبط بالدين بالضرورة ولعل خلفية الكاتب هي ما مهدت إليها.

المسجد :

تمثل المساجد أحد أعمدة المجتمع المسلم و هي أماكن **مقدسة** يجتمع فيها المسلمون للعبادة كما أنها منابر لنشر العلم ورفع الجهل وتقويم لسلوك الفرد و غرس القيم الصحيحة و لقد كانت المساجد على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم– مراكز للحياة الدينية والسياسية والاجتماعية كما كانت مصدراً للتعليم والدعوة والقضاء والفتح، و موقعاً لخطب النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته فهي خير بقاع الأرض و أشرفها[1] .

ترتبط بتيمة المسجد عدة صور في مخيلة الهوية العربية المسلمة تتمثل القداسة و السلام و النجاح و النجاح لا يكون إلا بالعمل و التجارة مع الله .

ينتقد الكاتب حال المسلمين المزري اليوم حيث انهمكوا في أمور دنياهم و غفلوا عن آخرتهم ويظهر ذلك في الرواية حين يأخذ الحمار أبو صابر الشيخ علي إلى مسجد القرية ليقوم في أهلها إماما وخطيبا ليوم الجمعة ليتفاجأ الشيخ في مشهد لاحق بخلو المسجد من المصلين و انهماكم بالبيع و الشراع في السوق المقابلة للمسجد.

يمثل كل من المسجد و السوق صورتين متضادتين وظفهما الكاتب لإبراز جانب من جوانب الحياة فالمسجد فهي بيوت الله تجتمع فيها الخلائق للتجارة مع الله و الانقطاع عن زخم الحياة مما يخلق شعورا بالسلام أما السوق فيمثل الصورة المادية للوجود الإنساني ضمن نظام متشظي يعبر عن الحياة و تجلياتها قائم على ثنائية الأخذ و العطاء .

1 مجموعة مواقع مداد، دراسة حول دور المسجد في القرن الأول الهجري، 2007، https://midad.com/

يتولد حس بالسخرية من تواجد هذين العنصرين المتقابلين في نفس الفضاء المكاني و المتباينين من حيث الماهية حيث يشترك السوق مع المسجد في دلالة الاجتماع و يخالفه في قصديتة الأساسية.

يوظف الكاتب صورا من صور السخرية المبنية على وجود علاقة الضد و التباين بين حالتين متنافرتين من نحية الماهية من خلال رد الحمار على الشيخ الذي أنكر عليه نهيقه أمام مدخل المسجد حيث ورد في الرواية:

" "اسكتْ أيها الحمار، إنك تؤذي المُصلين الوافدين إلى المسجد بصوتك". وشعرتُ بالإهانة، وأردتُ أنْ أقبضَ بفمي على كُمّ الشيخ، وأسوقه إلى المسجد لينظر بنفسه ويكتشف أنه لا أحد فيه البتة، وأنّ النّاس كلها في السوق، وأنّ النّاس تُرهفُ سمعها إلى نداءات الباعة لا إلى نداءات الله، وهَمَمْتُ أن أقول إن جم جعير هؤلاء الفلاحين أسوأ بكثير من صوتي الحنون، ولكنّ كبرياء البشر تمنعهم من أن يعترفوا بذلك"[1] .

يسلط الكاتب الضوء على بعض المظاهر السلبية في المجتمع من خلال توظيفه لسخرية الموقف التي تبرز مواقف متضاربة تكشف عن جهل البشر و عنادهم و نفاقهم .

السوق:

تشع تيمة السوق بعدة دلالات رمزية تتصل بعالم من المعاني التي تتسرب إلى مخيلة المتلقي فتثير فيه أحاسيس متضاربة .يمثل السوق ذلك المدنس حركية مستمرة للحياة تندفع في جميع الاتجاهات بين أخذ و رد في نظام من الفوضى التي تغرق الإنسان في جري و بحث مستمر عن معنى للحياة.

علاقة السوق بالمسجد و المقبرة:

تمكن الكاتب من تقديم رؤيتة للعالم من خلال حلقة الموت و الحياة باللعب على ثنائيات الحركة والسكون و الوجود و اللاوجود ، الحضور و الغياب و تتمظهر هذه الثنائيات من خلال شخصيات الرواية و فضائها المكاني و

1 أيمن العتوم،رواية صوت الحمير، دار ديوان للنشر و التوزيع، ط12، الكويت، 2022.،24.

التخيلي وتتقابل تلك الثنائيات مع الحياة و الموت و بالحضور المادي و الغياب المادي و بالسعي إلى السوق و ترك المسجد.

إن تكشف رؤية الكاتب لا يكتمل إلى باستقراء المعاني المتضادة استقراء منفتح على التأويل وباعتبار زاوية منظور الراوي كعنصر مشارك في الأحداث و مشكل للخطاب الساخر .في الرواية بينما الشيخ يتشبث بحبل النجاة ينطلق الحمار إلى السوق باحثا عن المساعدة ليجد الناس على حالهم في غفلة يتصايحون و يتلاعنون و الموت يناديهم في كل حين فلا يسمعون إلى أصوت الشراء و البيع. يقول الراوي:

ينتقد الكاتب" **وركضتُ الطور ودعوت الله ألا أجد الكلاب في طريقي، وركضتُ حتى وصلت إلى سوق عجلون القديمة عند ساحة المسجد، فإذا النّاس لاهية تروح وتجيء وتصيح على البضاعة، ورأيتُ الدنيا يومئذ على صورتها الطبيعية، بيع وشراء، وصياح وهياج، وجدال وأيمان، وضحك وغضب، وسباب وتلاعُن، والناس تشتري وتبيع في صحن المسجد، ويدخل السوق كلّ أحد ولا يدخل المسجد أحد، ثُمّ يناديها منادٍ من تحت التراب بعد انتهاء البيع والشراء يسمعه كلّ مَنْ باع واشترى ويُلبّيه دون أن يدري كيف كان هذا الصوت الذي لم يتخلف عن إجابته أحد – مهما باع واشترى – هو صوت الموت في المقبرة التي لا تبعد إلا خطوات عن ذلك السوق وعن ذلك المسجد**"[1]

ينتقد الكاتب حياة الغفلة التي يعيشها الفلاحون فالموت ينادي في كل حين و هم عنه لاهون يستخدم الكاتب سخرية الموقف لتسليط الضوء على التناقض بين صخب السوق وسكون المقبرة فالسوق هو مكان للحياة حيث يشتري الناس ويبيعون ويصرخون ويساومون و يجادلون و المقبرة ، من ناحية أخرى هي مكان للسكون ، حيث يرقد الناس في صمت .

1 المرجع السابق، ص66.

تيمة المسؤولية الاجتماعية :

ترتبط هذه التيمة بدور الأسرة في تكوين مجتمع يرقى بالإنسان في ضل بناء محكم يقي أبناءه من الانحطاط الأخلاقي والبعد عن القيم الدينية والمجتمعية التي يتأسس عليها المجتمع المسلم والتي تدعو إلى الفطرة السليمة.

وقد استخدم الكاتب هذه التيمة لإظهار مدى تدهور حال المجتمع وانحرافه عن المثل العليا من خلال بعض الشخصيات التي ظهرت في الرواية .

تيمة الأسرة :

تلعب الأسرة دورا جوهريا في تكوين إنسان سوي محمل بالقيم الإنسانية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية كما أن للمدرسة دورا في حماية الأفراد من الانحراف الفكري و السلوكي غير أن تهاون أي طرف في معادلة التربية يسفر عن شخصية معتلة اجتماعيا و مضادة لقيمه .

ينتقد الكاتب حالة المجتمعات العربية التي تفككت بسبب الطلاق و انحراف أولادها عن الطريق القويم .يقدم الحمار أبو صابر حلا لهذا المشكل في خطبته لحزبه حزب الحمير فيقترح عقد محكمة للزواج لتنظيم العلاقات و ضبطها في إطار الشرع حيث يقول: "**وأما بالنسبة للتناسل والتكاثر، فإنني سأعقد محكمةً للتزاوج، ولن يُزوّج فيها إلا الأكفياء القادرون على القيام بأعباء الأسرة، فنحن لسنا بشرًا تُنجب وننسى، ونهرب عند أوّل مسؤولية تواجهنا**"[1]

ينبني موقف الحمار من تجربته عايشها في صغرها فهو ضحية تخلي يحكي الحمار عن هذه التجربة فيقول:

"غادر أبي بعد أن ولدتني أمي بيومين، من أجل العمل عند أحد الفلاحين في قرية (سموع). كانوا يقولون إنها قريةٌ ممرعة، وإن زرائبها دفيئة، وفيها الكثير من الإناث الجميلات. ونسي أبي العهد الذي قطعه لأمي ألا يتخلّى عنها

1 المرجع السابق

حتى لو تخطفته أنياب الكلاب أو نهشته مخالب الفقر، ولكنّ الذكور من الحمير مثل الذكور من البشر مُستعدون لأتفه الأسباب أنْ يُقامروا بمشاعر زوجاتهم دون أي شعور بالمسؤولية، وأنا أخشى عندما أكبر أن أصبح مثلهم"[1]

يوظف الكاتب السخرية لتسليط الضوء على أهمية تحمل المسؤولية اتجاه الأسرة و المجتمع فيستخدم اللغة بشكل مبالغ فيه ويتحدث عن قرية ممرعة وزرائب دفيئة وإناث جميلات، ويصف الذكور من الحمير والبشر بأنهم مُستعدون لأتفه الأسباب لإقامة رهانات على زوجاتهم دون أي شعور بالمسؤولية. هذه الصفات المبالغ فيها واستخدام اللغة بشكل ساخر يعطي القارئ إشارة بوجود تجاوز في القول والنقد اللاذع لتصرفات الآباء والرجال في المجتمع.

تيمة التربية:

ينتهي الحمار أبو صابر إلى مالك جديد سطام * والذي يختلف عن مالكه السابق "الشيخ علي" حيث عامله بجفاء و حاجاته للأكل و الشرب مما جعله يستذكر عهده مع الشيخ علي الذي لطالما أحسن إليه و اعتبره صديقا له.

يمثل سطام نموذجا للشخصية السلطوية القمعية التي تهمل رعيتها و تأسر حريتها حيث يقول الراوي:

" وهكذا صِرتُ في بيت سطام، فأهملني، وتركني في حاكورة كأنني أجرب ومرّتْ عليّ ليال شديدة، ولم يكن ينتبه إلى إطعامي، ولا إلى إروائي، وكان يربطني بحبل غليظ يمنعني من أجول في الحاكورة فأكلُ من خَشاشِها"[2]

تمتزج السخرية بالتراجيديا في تغير حال أبي صابر بانتقاله من المالك السابق الذي أخذ عنه العلم و صحبه عقودا من الزمن إلى مالك جديد وجاهل لم يلقى منه إلى القمع و تقييد حريته و حرمانه من أبسط حقوقه حتى أصابه الحزن وضعفت عزيمته فاختفى معه "صوته" الذي لطالما صدح به رفقة الشيخ فانقلب اسم أبي صابر الدال على الصبر إلى الدلالة على الضعف و العجز. تتجلى السخرية التراجيدية من خلال معرفتنا لحالة الحمار أبي صابر قبل انتقاله

1 المرجع السابق ص7

* اسم عربي ويعني الضارب بالسيف، أو الذي يقوم بإغلاق شيء مثل الباب. فيقال سطم الباب أي أغلقه، كما أنه الشخص العنيف في الضرب، وسطم أي ضرب بقوة، وسطام هي حد السيف

2 أيمن العتوم،صوت الحمير،131

للمالك الجديد حيث يجهل سطام قدرة الحمار على الفهمو المحاورة ، تقدم لنا هذا السخرية ملمح عن تصاريف القدر و كيف تأثر فينا البيئة التي نتواجد بها.

يمثل دحام ** بن سطام عينة للانحراف الأخلاقي عند فئة الشباب نتيجة للبيئة و التنشئة الخاطئة و غياب الرقابة الأسرية . كما نلحظ فيه سمات الشخصية النرجسية غير المتسامحة والمهملة.

يعاني الحمار أبو صابر من جهل و كبر دحام الذي يذيقه أنواعا من سوء المعاملة و الإهانة غير أن أبا صابر يقابله جهله بالحلم و التواضع مداراة له لعله يعقل حيث يقول الراوي:

" فكان يترك المدرسة في الصباح ويعود في التاسعة فيركبني لينطلق إلى المنصورة، وهو يُوجعني في الطريق ضربًا ونَهْرًا وزعيقا، ويصيح: «حاااه... حاااه...». وقلتُ: «ربما لا يعرفُ قدري، ولا يُقدّر منزلتي، ولا يعرفُ قَدْرَ الكرام إلا الكرام، وهذا الغُلام جاهل، وكم من عالم قد سبّه مَنْ لا يُساوي غرزةً في نعله كما قال الشافعي فأخذتُهُ بالهَون، و تواضعتُ لكبريائه الجوفاء، وحملته حتى أحمله على الشكر وأنكرتُ ذاتي من أجل أن يكون ولدًا طيبا"[1]

يشي هذا الموقف بسخرية طافحة كون الحمار يتسامى عما يبدر من سطام فيتبوأ الحمار مقام العاقل ذو الرأي الرزين بينما ينحط الشاب ووالده بما يصدر عنهما من همجية تخلو من صور العطف و الشفقة.

يستغل دحام أبا صابر لتمضية الوقت خارج أسوار المدرسة فنراه في مشهد يتسيب من مقاعد الدراسة لخوض سباق على ظهور الحمير مع من شاكله من أقرانه و ينتهي السباق بفوز أبي صابر غير أن ذلك لم يشفع له بل لم ينل من هذا الفوز إلا المزيد من الضرب المبرح على ظهره ،وفي مشهد ثان يتسيب دحام من المدرسة مرة أخرى ليسبح في البركة فينتهي به الأمر غريقا و رغم إنقاذ أبي صابر له إلا أن ذلك لم يحرك فيه مشاعر الإنسانية بل قابل الإحسان بالشتيمة و الظلم .

** اسم عربي و يعني كثير الدَّفع، وكثير الهجوم.

1 أيمن العتوم، صوت الحمير،131

حيث ورد في الرواية :

" فلما وقعت عيناه علي توقعتُ أنْ يشكرني، فشَتَمَني!! ثُمَّ جَفْفَتْه الشَّمس، فقام فركبني، وقال: «حاااه... حاااه يا حمار..». وبدأتُ أُدركُ أنه لا أنكر للمعروفِ مِن الإنسان! وتساءلت: «ماذا يُعلمونهم في المدرسة؟!». ثم تذكرتُ أنه أخذ حظه من المدرسة كما أخذت الفراشة حظها من الصخرة، وماذا تُفيد كثرة الماء إذا كانت الأرض ذات قيعان لا تُنبت !! "[1]

و في المشهد السابق استعمل الكاتب استفهام ساخرا يوجه من خلاله نقد للمؤسسة التربوية كونها شريك في عملية التربوية غير أنه يستدرك بتشبيه ساخر يبرز فيه الكاتب عدم استفادة الشاب مما تقدمه المدرسة ،كما وظف الكاتب التناص الديني الساخر ليوضح مدى بطش وجهل الولد وعدم استفادته من التعليم حيث اقتبس من الحديث النبوي.

يوظف الكاتب التناص الديني بصورة تحمل دلالات النقد و السخرية من حال الفتى دحام الذي لا تنفعه نصيحة و لا موعضة.

تيمة المسكوت عنه (التابو):

في رواية صوت الحمير لأيمن العتوم، يبرز الكاتب حيوانية بعض البشر وانحطاطهم الأخلاقي والفكري من خلال شخصية دحام، التي سبق التعرض إليها في تيمات سابقة. هذه الشخصية العابثة، التي لطالما أساءت للحمار بالضرب والإهانة، نزلت درجة أخرى من درجات الجهل والانحطاط بمحاولتها إشباع شهوتها مع الحمار. ولكن الحمار، الذي كان ذكيًا وشجاعًا، تصدى لها بقوة ورفسها في موضع حساس، مما جعلها تفقد رجولتها وتسقط مغشيًا عليها. بهذا الموقف، يظهر الكاتب كيف أن بعض البشر قد فقدوا كرامتهم وإنسانيتهم، وأصبحوا أسوأ من الحيوانات.

يعالج الكتاب قضية الشباب و الانحراف و يحذر من خطورة الفراغ والجهل والشهوة على الإنسان. كما يدعو إلى احترام حقوق الحيوانات وعدم استغلالها أو إيذائها . وقد استغل الكاتب كعادته ثروته الأدبية و الدينية

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،131

لخدمة هدفه من خلال توظيف أنواع من السخرية فنجد السخرية اللفظية وسخرية الموقف في كقوله :" **ففكّ مربطي، وساقني إلى غرفةٍ مُطرفةٍ من غُرَف البيت، فتعجّبتُ مِمّا يفعل وناداني بأعذب نداء لم يكن ليتلفظ به من قبل: «هيا يا حماري العزيز!**[1]**» فازداد عجبي** "[2] فعندما ينادي الشاب الحمار بأعذب نداء، وهو **"هيا يا حماري العزيز"**[3] يخلق تباينا بين الظاهر و المضمر فهذا تعبير يحمل تناقضا بين المعنى الحرفي لكلامه و بين الإساءة التي يضمرها للحمار فهو يظهر حبا و إحسانا له في حين أن هدفه الاعتداء عليه مما يكشف عن نفاقه وخبثه كما أن الموقف الذي تعرض له الحمار كان مخالفا لما يمكن توقعه مما خلق جوا من السخرية و الدهشة المدعاة للضحك و لكنه ضحك كالبكاء.

كذلك، عندما يقول الحمار **"فقدت كل ما في رأسي من صواب"**[4]، فهذا شكل من أشكال السخرية و المتمثل في المبالغة الساخرة و يعبر بها الحمار عن شدة غضبه و صدمته من سلوك الشاب الذي يريد أن يعتدي عليه و يحط كرامته كما أننا نلحظ جانبا إنسانيا للحمار يتمثل في الأنفة و الكرامة و الغيرة على عكس الشاب المنحط مما يخلق تباينًا بين شخصية الحمار وشخصية الشاب و يولد تأثيرًا ساخرًا.

تيمة التغيير:

التغيير هو الشيء الثابت في حياة البشر، فهو يحدث بشكل مستمر ولا يمكن تجنبه فمنذ ولادتنا وحتى لحظة وفاتنا، نواجه تغيرات مستمرة ومتنوعة في جوانب حياتنا المختلفة فيمكن أن يكون هذا التغيير مخططًا أو غير مخطط، ولكن في كلتا الحالتين، يجب علينا التعامل معه والتكيف .

يمثل التغيير تيمة بارزة في الأعمال الأدبية بمختلف الأنواع، بدءًا من الشعر والرواية وحتى المسرح.

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،132.

2 المرجع نفسه، 132.

3 المرجع نفسه، 132.

4 المرجع نفسه، 132.

تعد رواية "1984" لجورج أورويل إحدى الأعمال التي تعرضت لهذا الموضوع من خلال قصة وينستون سميث الذي يعمل في شرطة الفكر في مستقبل مظلم حيث تسيطر الحكومة على كل جوانب حياة الناس .تستكشف القصة مواضيع الشمولية الدكتاتورية والمراقبة وأخطار الرقابة.

كما أن رواية "مزرعة الحيوان" لجورج أورويل تتمحور حول فكرة السيطرة و الدكتاتورية و الثورة و ما هي إلا تمثلات لتيمة تروي القصة حكاية مجموعة من حيوانات المزرعة التي تقوم بالإطاحة بأسيادهم البشر وإقامة مجتمع ديمقراطي. ومع ذلك، تتمكن الخنازير، تدريجيًا من السيطرة على المزرعة وإقامة ديكتاتورية أحادية الصوت. تستكشف القصة مواضيع الفساد والشمولية الدكتاتورية و خطر تموضع الكثير من السلطة في أيدي القلة.

وفي الرواية يتناول الكاتب قضية متعددة ترتبط بتيمة التغيير كالسلطة و أنظمة الحكم و الحرية الفكرية و العمل من خلال شخصيته المركزية أبي صابر الذي يسعى إلى إحداث تغيير في حياة البشر غير أن التغيير الذي الحقيقي الذي ينشده هو التغيير الجوهري الذي يمس أنظمة التفكير البشرية و يحركها فيقابل الأفكار البالية التي تجعل من الإنسان عمودا جامدا يكرر نفسه و يتقوقع حولها .

ترتبط تيمة التغيير في الرواية بالموضوعات التالية:

العمل:

يرى الكاتب أن التغيير الحقيقي لا يتأتى إلا من خلال رؤية ووعي يتحقق على أرض الواقع وإلا لكان وهما تتشبع به الأنفس ليعطي إحساسا زائفا بالإنجاز وما الإنجاز إلا وليدا للعمل. كما يتبنى الكاتب موقفا مضادا من الوعود الكاذبة التي يغرق بها السياسيون و المسؤولون المنتخبين حيث جاء في الرواية: "**ودارت ببالي مئات الأفكار والخواطر والهواجس حول الحزب. ولكن مع. ذلك قلت: «مَنْ قال دون أن يفعل فكأنّما فَسَا أو سَلَحَ على نفسه، والميدان لحميدان... وهَيّا إلى العمل**». [1] و في ذلك تشبيه ساخر و انتقاد لاذع لأولئك الذين يتحدثون عن التغيير ولا يقومون به .

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،

يعكس الموقف الساخر عدم الرضا عن تصرفات الأشخاص الذين يتحدثون فقط ولا يتحركون، ويعزز أهمية العمل الفعلي والتصرف بدلاً من الكلام العقيم.

الزعامة:

يعتبر احتكار السلطة و خنق الأصوات المعارضة من سمات الأنظمة القمعية الدكتاتورية التي تضع نفسها فوق أي حساب و ترفض فكرة التداول على الحكم.

تتميز دول العالم الثالث بوجود هذا النوع من الممارسات السلطوية التي تفرض نفسها على الشعوب المستضعفة فالرئيس بشار الأسد وحزب البعث العربي الاشتراكي لا يزال ممسكا بزمام السلطة منذ عقود و لا ننسى ما وقع مع الرئيس الليبي الراحل معمر القذافي.

يشكل التغيير هاجس للأفراد عندما يكون هدفهم ذاتي ،يتعرض الكاتب لهذه الفكرة في قوله "«**إنّ طول عهدكم بالبشر نقل إليكم أسوأ صفاتهم من صناعتهم للطغاة، وقبولهم بالعبودية**». **وأصررت على الاستقالة، فأنا لستُ مثل الزعماء العرب ولا مثل الحُكّام الشموليين الذين يلتصقون بالكرسي ولا يتركونه ولو أهلكوا ثلاثة أرباع شعبهم، ولا يُمكن أن يغادروا منصبهم إلا بواحدة من اثنتين؛ عزرائيل أو أمريكا. أنا جئت لأخدم شعبي، لكنني لست وحدي في ذلك، أنا حلقة في سلسلة، أترك مكاني للشباب الطامحين، والقادة الجُدد**"[1]

يوجه الكاتب لهجة حادة بلغة قوية تهدف إلى دك قلاع الأنظمة المستبدة و الأطراف الداعمة لها من خلاف كشف عورتها و فضحها أمام المتلقي من خلال استعمال أسلوب المبالغة الساخرة .

يقدم لنا الحمار رؤيتة الخاصة للأحزاب السياسية باعتبارها توجهات تخدم مصالحها الشخصية قبل كل شيء فهي في نظره خائنة لمبادئها التي أسست عليها ولا بد من تعريتها و كشف حقيقتها و هذا ما نلحظه من خلال المقطع التالي الذي يقدم نقدا لاذعا و ساخرا لدوائر السلطة وأدواتها باستعمال أسلوب التعريض:

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،ص145.

وطلب عدد من الوزراء والأمراء أن يحلوا ضيوفًا عليه، فأبيتُ؛ فأنا لا أتقن التملق والتزلّف، والبشر – على عادتهم – يغضبون إذا ما واجهتهم بحقيقتهم. إضافةً إلى أنني لا أريد للبرنامج أن يُحسَب على تواجه سياسي كون آخر، فالحمير لا تعترف بهذه التوجهات البائسة، ولا تُؤمن إلابأنفسها" [1]

تيمة الهيمنة:

في عالمنا المعاصر تبرز الهيمنة من خلال الشركات الكبرى و دوائر الإعلام و حتى السينما كونها تمثل مراكز قوة لها تأثر واسع على العالم.

هيمنة الشركات الكبرى:

تبرز هيمنة الشركات الكبرى باحتكارها للسوق و استعمال وسائل الدعاية و قوة الأموال من أجل بسط نفوذها التجاري و الاقتصادي على مناطق واسعة و رغم كونها تلعب دورا مهما ومؤثرا في شتى جوانب الحياة من خلال توفيرها للخدمات والمنتجات التي تلبي حاجات ورغبات المستهلكين، غير أن سياساتها كانت و لازالت تواجه أصابع الاتهام حيث يدفعها الرغبة في التوسع و احتكار السوق إلى استخدام وسائل مختلفة لزيادة نفوذها وسلطتها، مثل الدعاية والإعلان والرشوة والابتزاز والتحالفات و حتى و خلق النزاعات الطائفية و التسبب في الحروب كما تؤثر هذه الشركات على السياسات والقرارات التي تصدرها الحكومات والمنظمات الدولية، بحيث تخدم مصالحها وأجندتها.

تحضر تيمة الشركات الكبرى كتيمة ملازمة للطمع و الخوف و البروبغندا حيث تبرز جانب الإنسان الوحشي

" ولكن الشركات العملاقة ما كانت لتتوقف عن استنزافنا ما لم يكن هناك قانون يُجرّم بيع هذا الحليب في المجالس التشريعية، ورفعنا بذلك مسودات قانون إلى تلك المجالس وخاصة في تركيا والهند والصين ولكنّ

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،ص176

الشركات كانت غالبًا ما تُجهض التصويت على القانون برشوة أعضاء المجالس التشريعية، وهكذا وجدنا أنفسنا نُهبةً لجشع الإنسان وطمعه فينا دون أن يُفكر بتأثير ذلك علينا وما يُسبّبه لنا من مصائب"[1]

تشي الرواية استغلال الشركات العملاقة لجنس الحمير متجاوزة حدود الأخلاق والقانون، غير أننا، نشهد أيضا كيف يمكن مقاومة الشركات الكبرى وإجبارها على المساءلة. فالدعوى القضائية التي رفعتها أم الطفل الذي مات بسبب حليب مغشوش أدت إلى إغلاق بعض الشركات التي كانت تبيع حليب الحمير.

تمثل حادثة موت الطفل بسبب الحليب سخرية قدرية و تتجلى في نتيجة الموقف المعاكسة والساخرة. إن ما تسبب في إغلاق الشركات ليست المنظمات الحقوقية بل وفاة طفل.

تعمل السخرية القدرية في هذا المقطع على تسليط الضوء على موضوع جوهري يتمثل في تأثير الجشع على حياة الإنسان و الذي أدى إلى وفاة طفل .

الموت و الحياة:

تعتبر تيمة الموت موضوعة بارزة في الأدب العربي الحديث و المعاصر فقد تناولها الشعراء في القصائد الشعرية و الروايات التي تبرز الصراع الاجتماعي و السياسي، وصوروها بأساليب متعددة، فاستخدموها للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وانشغالاتهم. وقد اختلفت صورة الموت وأسبابه ، فمنها ما كان موتا حقيقيا للإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد، ومنها ما كان موتا رمزيا للحب أو الحرية أو الأمل أو الذات.

تلقي تيمة الموت بضلالها في عالم الرواية من خلال مجموعة من الصور التي تبرز قيمة الحياة و جسامة المأساة في ظل الصراعات و الحروب .تتجلى السخرية في هذا الشأن من خلال التعبيرات الساخرة و الفكاهة و التهكم و الانتقاد اللاذع للواقع السياسي و الاجتماعي و الثقافي.

تتوسع تيمة الموت في الرواية و ترتبط بتيمات أخرى تتعامل بشكل مباشر أو غير مباشر مع الحزن والشتات.

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،178

موت القلب:

في رواية صوت الحمير يظهر جانب خفي من شخصية الحمار أبو صابر و صاحبه الشيخ علي ، يستمع الحمار للشيخ علي و هو يقرأ سورة يوسف عليه السلام أثناء قيامه لليل فتحرك كلماتها وجدانه ويرق قلبه و تنهمر عبراته و على النقيض من ذلك يظل حال الشيخ كما هو يتحرك لسانه و لا يتحرك قلبه.

يخلق لنا هذا التناقض موقف ساخرا يتجلى في رقة الحيوان و حياة قلبه عند سماع القرآن و بين عدم تأثر الشيخ فالقلوب الميتة كالماء الراكد .

"وفي الليل قام الشيخ فصلّى وقرأ سورة يوسف، وبكيتُ وأنا أسمع السورة منه أكثر من ثلاثين مرة. وكنتُ أبكي براحتي لأنه لا أحد يراني في الظَّلام، وكنتُ مع كلّ موقف أبكي فيه أنظر من خلال دموعي الغزيرة إلى الشيخ فلا أرى عليه أية علامة من علامات التأثر !!" تتجلى السخرية الدرامية في الموقف السابق في كون الحمار يجهل ما مر به الشيخ في شبابه و كان سببا في حاله اليوم ،يكتشف الحمار لاحقا أن الشيخ عاش شبابه سكيرا و انتهى به الأمر إلى قتل زوجته.

الحرب:

الحرب كموضوع أدبي يعبر عن تجارب وآثار ومعاني الصراع المسلح بين الإنسان والإنسان أو بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان والذات هناك العديد من الأعمال الأدبية التي تتناول الحرب من منظورات مختلفة، سواء كانت حقيقية أو خيالية، تاريخية أو معاصرة، شخصية أو جماعية. بعض هذه الأعمال تصور الحرب كمصدر للشجاعة والفخر والتضحية، وبعضها تصورها كمصدر للظلم والقهر والمعاناة. بعض هذه الأعمال تبرز جوانب إنسانية أو سياسية أو اجتماعية أو فلسفية للحرب، وبعضها تبرز جوانب فنية أو شعرية أو ساخرة للحرب.

يقرر أبو صابر ترك زوجته و التوجه إلى لبنان لتقديم يد العون لكن حياته تنقلب رأسا على عقب بسبب تأزم الوضع في المنطقة . يصور لنا الكاتب حالة المنطقة و غليان الوضع هناك من خلال المقطع التالي:

"أزّت الرصاصة الأولى، قلتُ : صوت الريح. أزّتِ الرصاصة الثانية، قلتُ عُواء الأشباح. أزّت الرصاصة الثالثة، قلتُ: أنا أحلم ولكنّ سذاجتي هي التي كانت تُجيب الأزيز في الرصاصات الثلاث، لم أفق إلا

عندما انهار زُجاج البناية التي تقابلني، حينها أدركتُ أنه رصاص، وأنه حقيقي: «مَنْ يُطلق الرصاص، ليس في الشارع بشري واحدٌ؟ هل هو وحش يتسلى بقتل الحيوانات؟». لكنّ الإجابة جاءت سريعا، فقد اخترقت رصاصة رابعة أو خامسة أو عاشرة – لم أعد أدري – كفلي، واستقرت عميقا فيها، نهقتُ، نهقتُ بصوت عال، ولكن صوت الرصاص كان أعلى، صار الرّصاص يُجيب على الرصاص، إنهم قناصة يتمركزون على أسطح البنايات المتقابلة، ويبدو أن صوت الرصاص أيقظ بعضه بعضا، وأن المتقاتلين على الطرفين حسبوا أنني أتبع الطرف الآخر، فالبشر لا يُفكرون، وإذا فكروا فبعقليّة المؤامرة"[1]

إن تعرض الحمار للرمي بالرصاص يعكس همجية البشر و قسوتهم عند الفتن و الحروب،لم يتوقع الحمار بتاتا أن يكون هدفا للقناصة فكان يوهم نفسه بخلاف ما كان يجري ولم يدرك الحقيقية إلا لما سقط زجاج البناية،يستعمل الكاتب نوعين من السخرية في المقطع السابق يتمثل النوع الأول في السخرية اللفظية حيث يحمل كلام الحمار معنى مزدوجا في قوله: **أزّت الرصاصة الأولى، قلتُ : صوت الريح. أزّتِ الرصاصة الثانية، قلتُ عُواء الأشباح. أزّت الرصاصة الثالثة، قلتُ: أنا أحلم ولكنّ سذاجتي هي التي كانت تُجيب الأزيز في الرصاصات الثلاث**" [2]

أولا:استخدام الحمار للسخرية اللفظية يسلط الضوء على إنكاره للواقع لقد أصيب بصدمة شديدة من عنف الحرب لدرجة أنه لم يتمكن حتى إدراك كونه يتعرض لإطلاق النار .هذا الإنكار هو آلية للتكيف ، لكنه يمنع الحمار أيضا من اتخاذ إجراءات لحماية نفسه.

ثانيا: ، يمكن النظر إلى المفارقة اللفظية على أنها تعليق على عبثية الحرب. محاولات الحمار لترشيد الرصاص الذي يسمعه على أنه صوت الريح أو عواء الأشباح أو الحلم كلها أمثلة على كيف يمكن للحرب أن تجعل العالم يبدو وكأنه مكان لا معنى له. في منطقة الحرب ، كل شيء ممكن ، وحتى أكثر المخلوقات بريئة ليست آمنة.

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،214

2 أيمن العتوم،صوت الحمير،214

أخيرا ، يمكن النظر إلى السخرية اللفظية على أنها دعوة للسلام. سؤال الحمار, " من يريد أن يؤذي حيوانا؟" هو تذكير بالعنف الذي لا معنى له الذي تسببه الحرب على كل من البشر والحيوانات. إنه نداء من أجل عالم لا ينظر فيه إلى الحيوانات كأهداف ، وحيث يمكن للجميع العيش في سلام..

تيمة العنف والقمع

هذه التيمة تظهر في القصة من خلال موقف الحمار الذي ينتقد الزعيم الذي قتل مليونًا من شعبه وشرد عشرة ملايين في صقيع الأرض. هذا الزعيم يمثل رمزًا للعنف والقمع الذي يمارسه بعض الحكام على شعوبهم باسم الحرية والأمن. يستخدم الحمار لغة ساخرة وموجهة لإظهار مدى تناقض هذا الموقف وتجريده من أي مبرر أو شرعية. كما يستخدم الحمار مقارنة بين البشر والحمير لإبراز فضل الحمير على البشر في رحمتها وخدمتها لخلق الله. هذه التيمة تعكس حالة من الانتقاد والاحتجاج على سوء استخدام السلطة وانتهاك حقوق الإنسان.

الصراع الطائفي:

الصراع الطائفي هو الصراع الذي ينشأ بين مجموعات دينية مختلفة بسبب خلافات في المعتقدات أو الممارسات أو المصالح أو الهوية و يكون سياسيًا أو عسكريًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا، وقد يؤدي إلى العنف والتمييز والتهميش والانقسام.و قد يحدث داخل دولة واحدة أو بين دول مجاورة أو بين تحالفات إقليمية أو دولية.

الصراع الطائفي ليس ظاهرة جديدة في التاريخ، فقد شهدت العديد من المناطق والحضارات صراعات طائفية على مر العصور، مثل الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط، أو الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك في أوروبا، أو الصراع بين الهندوس والمسلمين في شبه القارة الهندية. في العصر الحديث، تزايدت حدة وانتشار الصراعات الطائفية بسبب عوامل مختلفة، مثل التغيرات الجغرافية والسكانية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وكذلك تأثير وسائل الإعلام والتكنولوجيا والأيديولوجيات.

يسلط الكاتب أيمن العتوم الضوء على قضية الصراعات الطائفية داخل لبنان في ظل الحرب مع الكيان الصهيوني و تأثيرها على حياة البشر في المنطقة.

و الطائفية في الحرب اللبنانية مع إسرائيل هي موضوع معقد ومتنازع عليه، يتطلب دراسة تاريخية وسياسية واجتماعية وهي الانقسام والتمييز بين المجموعات الدينية المختلفة في لبنان، والتي تشمل المسيحيين كالموارنة والمسلمين كالسنة والشيعة وغيرها. وقد نشأت هذه الطائفية تاريخياً بسبب التأثيرات الاستعمارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية على لبنان[1].

تبرز عدة مواقف عند تناول الكاتب لهذا الموضوع بالنقد خاصة عندما يكون من قبل الحمار أبي صابر.

يقرر أبو صابر ترك زوجته و التوجه إلى لبنان لتقديم يد العون لكن حياته تنقلب رأسا على عقب بسبب تأزم الوضع في المنطقة . يصور لنا الكاتب حالة المنطقة و غليان الوضع هناك من خلال المقطع التالي:

"في الشهور الثلاثة الأولى يمرّ بسلام في الشهر الرابع استشرت عمليات الاغتيال، صارت عنوان المرحلة اغتيل فلان الماروني، فردّوا باغتيال فلان الفلسطيني، فردّتْ جماعة هذا الفلسطيني باغتيال فلان الكتائبي... وهكذا دارت دورة الاغتيالات على الجميع فلم ينج أحد.

1 تاريخ من الصراع والدماء.. هكذا تشكلت الطائفية في لبنان، 21/9/2018 https://www.aljazeera.net/

بعد حُمّى الاغتيالات التي لم أفهمهما إلى اليوم، ولا كيف كان يختار فريق الاغتيال الشخصيّة المُغتالة صار التدقيق على الهويات كبيرًا. كنتُ أرى أناسًا يُسحَبون من على الحواجز لدقائق ثُمّ أسمع صوت الطلقات، وصرخة يتيمة، ومن بعدها يسكنُ كلّ شيءٍ. أفظع ما في الهوية أنه كانت هناك خانة فيها للدين أو للمذهب، فصار القتل على نوع الدين أو المذهب. عشرات إن لم يكونوا مئات سقطوا أمامي بسبب هذه الخانة اللعينة."[1]

يصور الكاتب عمليات حمى الاغتيالات التي انطلقت في بيروت بين الطوائف المسلمة و النصرانية و بين اللبنانيين و الفلسطينيين و يلعن كل ما يفرق الإنسان عن الآخر و يدين بشدة عمليات التصفية و التمييز التي تكون بسبب الانتماء العرقي أو الديني بلهجة غاضبة ممتزجة بسخرية قادحة مستعملا أسلوب المبالغة.

1 أيمن العتوم،صوت الحمير،221

الخاتمة

ما يمكن قوله في نهاية هذا البحث هو أن رحلة البحث بالرغم من كونها شاقة إلى أنها ممتعة وشيقة ولكن لكل بداية نهاية، وأختتم هذا البحث بجملة من الملاحظات والنتائج التي خلصت إليها من خلال هذه الرحلة أجملها في النقاط الآتية:

عرف الإنسان السخرية من القدم غير أنها كانت موجودة على مستوى الحصور فقط و لم ترتبط بالوعي.

السخرية في معاجمنا وقواميسنا العربية لها ألفاظ ومرادفات متعددة كالهزء، والتهكم،و الهجاء غير أن الأمر الأكثر شيوعا في تراثنا اللغوي أن كلمة سخرية تدل على الهزء.

تعني لفظة سخرية (Irony) في المعاجم الغربية الاستعمال المراوغ للغة والذي يظهر في صورة قلب دلالي أو تعارض وأما في الاصطلاح فنجد مفهوم السخرية مفهوما عويصا على التحديد والتدقيق في الثقافتين العربية و الغربية، ففي الثقافة الغربية نجد المفهوم زئبقي يتغير من عصر لعصر ومن جنس أدبي لآخر ، بل من ناقد لآخر وذلك راجع إلى حيوية المصطلح، كفن متطور قابل للتجديد مما جعله ميدانا شاسعا يصعب الإلمام به ورسم حدوده – وفي الثقافة العربية نجد أن السخرية قد ارتبطت قديما بفن الهجاء، لكن سرعان ما تطور هذا المفهوم في العصر العباسي نظرا للصراعات السياسية، والتناقضات الاجتماعية، وقد ظهرت في هذا العصر طائفة من الأدباء الذين نبغوا في استعماله كالجاحظ و أبي دلامة . وامتدت السخرية إلى العصر الحديث والمعاصر فكانت ملاذا للشعراء يحملون من خلالها هموم الشعوب من خلال التعبير عن أوضاعهم.

أما فيما يخص دراستنا لنزعة السخرية في الرّواية يمكن القول بمجموعة من النتائج وأهمها ما يلي:

إنّ الأديب أيمن العتوم قد لاحظ مواضع الدّاء في الإنسان، فعمل على إخراجها إلى النور؛ حيث سخر من طبائع الإنسان و أدان جرائمه في حق نفسه و حق الحيوان ، لا لشيء سوى للنهوض بالإنسان من جديد والاستمرار في سبيل الإصلاح والتقويم.

وقد استخلصت من دراستي لمدونته الموسومة بـ "صوت الحمير" مجموعة من النقاط وهي كالتالي:

أولا: السخرية في رواية أيمن العتوم لا تهدف إلى السب والانتقاص من المسخور منه، بل تحمل نوايا الإصلاح والتقويم ذلك أن الروائي " أيمن العتوم " قد تعامل مع المسخور منه من الناحية الخلقية و الفكرية، لكنّه رأى انعكاس ذلك على المظهر الخارجي وبالتالي فقد أبرز لنا العيوب الخارجية أيضا.

ثانيا: مسألة تحديد حدود السخرية في النّص الأدبي ليست سهلة على الإطلاق لأنها مسألة تأويل لوقائع عبثية السخرية وما ينتج عنها من أفعال قد تبدو كاريكاتورية، مضحكة، ولكنّها في الحقيقة لها ضرورتها في التلاحم والتأرجح بين السخرية وحدود الواقع المأزوم المزري.

ثالثا: اعتمد " أيمن العتوم " على أساليب مختلفة في سخريته، فوجدناها مرة يلمح من خلالها وأخرى يصرح بها.

رابعا : شخصيات و أحداث الرواية مستوحاة من الواقع، وتكاد تكون حقيقية كالحرب اللبنانية و قضية خطر انقراض جنس الحمير بسبب استهلاك لحومها.

خامسا: لم يتجرّد " أيمن العتوم " من ثقافته الواسعة، والتي سخرها لخدمة سخريته فقد التمسناها في توظيف الشعر و حضور التناص الديني و الشعري و التناص بالأمثال .

سادسا: عتبات الرواية هي عناصر تدعونا إلى اكتشاف علاقة النص بالواقع باعتبارها مؤشر يساعد على لفت الانتباه .

سابعا: تنوع موضوعات الرواية و غزارتها و غلبة سخرية المواقف و الأساليب البلاغية الساخرة فيها .

ثامنا: تجلت السخرية في الرواية من خلال عدة صور ومكانيزمات بدأ بتوظيف الكاتب للحمار كشخصية رئيسية و التي تمثل خرقا لأفق توقعات المتلقي و الشخصيات الأخرى عند اكتشافهم قدرته على الكلام و كدا الاعتماد على الأساليب البلاغية كالاستفهام الساخر و الأمر.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

أولا – المصادر:

1. أيمن العتوم،رواية صوت الحمير، دار ديوان للنشر و التوزيع، ط12، الكويت، 2022.

ثانيا– المراجع العربية:

الكتب:

2. إبراهيم عبد القادر مازني، حصاد الهشيم: المطبعة العصرية، القاهرة، ط 2، 1932..

3. أحمد شايب ، الضحك في الأدب الأندلسي ,دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، ط 2، 2008.

4. أحمد محمد الحوفي ، الفكاهة في الأدب اصولها وانواعها،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1959.

5. الرضي الإستراباذي ،شرح الكافية؛ ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، عن منشورات جامعة قار يونس ط2، بنغازي، 1996.

6. إيليا حاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1998.

7. شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، دار المعارف، ط3، القاهرة، 2004 .

8. جبور عبد النور ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان،2010.

9. جميل صليبا، المعجم الفلسفي. ج 1. دار الكتاب اللبنائي. ط1، بيروت 1982.

10. جورج لوكاتش، نظرية الرواية، ترجمة الحسين شعبان، منشورات التل، الرباط، 1988..

11. عباس العقاد، جحا الضاحك المضحك، مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة والغير هادفة للربح، القاهرة.2012.

12. علي البوجيدي، السخرية في أدب علي الدوعاجي تجلياتها ووظائفها، الأطلسية للنشر،2010.

13. فراس عمر أسعد الحاج محمد، السخرية في الشعر الفلسطيني المقام بين عامي 1948–1993.

14. محمد العمري ، بلاغة السخرية الأدبية ،مجلة علامات ،ج20 ، م5 ،1996

15. محمد حسين، الهجاء والهجاؤون فى الجاهلية، دار النهضة للطباعة والنشر، ط3، 1970.

16. محمد شقير، السخرية والسلطة بالمغرب من المأسسة إلى التجريم، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، ط1 2009.

17. ناصر بوحجام ،السخرية في الأدب الجزائري الحديث،ص 2004.19

18. نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي،دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع،ط1،عمان،2012

19. نعمان طه ، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية، ط1 ، 1978

الكتب المترجمة:

20. دي.سي.ميوك ، موسوعة المصطلح النقدي:المفارقة وصفاتها، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون،1900.

21. ثالثا- المعاجم و الموسوعات العربية:

22. جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبنائي. ط1، بيروت 1982 .

23. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات في الأدب و اللغة، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1994 .

24. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،لسان العرب، دار صادر،ط1، بيروت، 2009.

25. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين ، دار الكتب العلمية، ط1، 2003.

26. جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ،ط1، 1998.

الرسائل والأطروحات:

27. خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي:رسالة التوابع والزوابع، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف،2017.

28. سامية مشتوب، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري،2011.

المجلات العربية:

29. لامية طالة، السخرية: بين المدلول اللغوي والتوظيف الاجتماعي والسياسي، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية ،مج 14،ع2، 2021 .

30. حمزة زوغري و مليكة فريحي،النص الساخر بين الأدبية و المرجعية ،مجلة التعليمية، مج11،ع2 ،2012 .

31. محمد شكري المتولي المتولي،جماليات السخرية في ديوان كلمت غضبى، مجلة كلية اللغة العربية، ع36 ،القاهرة ، 2021.

الجرائد:

32. جريدة الخبر، العدد 9793 ، يوم 08 فيفري 2021م

ثالثا–المراجع الأجنبية:

الكتب:

33. Mueck, D.C, Irony and the Ironic, Routledge, first edition, New York , 2018.

34. Booth, Wayne Clayson, A Rhetoric of Irony, The University of Chicago Press, Second Impression , p02 .1975.

35. Joana Garmendia , Irony:key topics in semantics and pragmatics, Cambridge University Press, United Kingdom, 2018.

36. Raj kishor singh , humour, irony and satire in literature, international journal of english and literature, vol. 3, issue 4, oct 2012.

.الموسوعات الأجنبية:

37. Abrams, Meyer Howard. A glossary of literary terms. Italy: Harcourt Brace College Publishers, 1999.p137.

مواقع الإنترنت:

38. https://www.studiobinder.com/blog/what-is-historical-irony-definition-and-examples
39. https://literarydevices.net/situational-irony
40. https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/irony
41. https://www.britannica.com/dictionary/irony
42. https://www.merriam-webster.com/dictionary/irony.

فهرس

الموضوعات

مقدمة.....أ-د

ملخص.....06

مدخل

ماهية السخرية

مفهوم نزعة 08

لغة.....08

اصطلاحا.....08

مفهوم نزعة السخرية 08

مفهوم السخرية.....09

السخرية في القرآن 10

في المعاجم العربية 11

في المعاجم الأجنبية.....11

اصطلاحا.....12

المفهوم في الثقافة الغربية 12

سقراط(Socrates).....13

شيشرون (Cicero).....14

فريديريش اشليغل (Friedrich Schlegel) 14

سورين كيركغور(Søren Kierkegaard) 15

المفهوم في الثقافة العربية: 15

السخرية في العصر الجاهلي 15
السخرية في العصر العباسي 16
السخرية في العصر الحديث 16
مفاهيم السخرية فى النقد الغربى المعاصر 16
مفاهيم السخرية في النقد العربي المعاصر 17
إشكالية المصطلح: 18
تداخل مفهوم السخرية مع المفاهيم المجاورة 18
الفكاهة Humour 18
الهجاء Satire 20
الاستهزاء Sarcasm 20
التهكم: 21
المفارقة Paradox 21
خلاصة 22

الفصل الأول:أنواع السخرية ميكانيزماتها

أنواع السخرية 24
السخرية اللفظية (Verbal Irony) 24
سخرية الموقف (Situational Irony) 24
السخرية الدرامية(Dramtic Irony) 25
السخرية السقراطية (Socratic Irony) 25
السخرية الكونية(Cosmic Irony) 25

السخرية التاريخية(Historical Irony) 25
السخرية الشعرية(Poetic Irony)..... 26
السخرية الرومنسية(Romantic Irony)..... 26
ميكانزمات السخرية 26
السخرية بالجمل و التعبيرات اللاذعة..... 27
التنابز بالألقاب..... 27
التلاعب اللفظي..... 27
الاستفهام الساخر 28
الأمر 28
المحاكاة الساخرة 28
الأنسنة و التحويل..... 28
التناص 29
أسباب السخرية..... 30
وظائف السخرية..... 31
الوظيفة الاجتماعية 31
الوظيفة النفسية..... 31
الوظيفة السياسية 32
الوظيفة الحجاجية..... 32
الوظيفة التواصلية 32
الوظيفة التقريرية..... 33

الوظيفة التوجيهية و التربوية 33
السخرية في الأدب..... 33
السخرية في الرواية 34
السياقات المنتجة للنص الساخر..... 34
السياق النفسي..... 34
السياق الإيديولوجي 34
السياق الاجتماعي 35
السياق الثقافي..... 36
الخلاص 37
الفصل الثاني 38
بيبليوغرافيا الكاتب:..... 39
متن الرواية 40
عتبات المتن..... 41
عتبة العنوان وعلاقتها بالمتن..... 41
قراءة في العنوان 42
قراءة في الغلاف..... 43
رؤية الكاتب 44
تيمة الإنسانية و الحيوانية 45
تيمة الحمار 45
تيمة المقدس و المدنس 46

تيمة المسؤولية الاجتماعية 50

تيمة التغيير..... 54

الموت والحياة 58

خاتمة..... 64

قائمة المصادر و المراجع 67

الفهرس..... 72